كتاب في جريدة

أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996

عدد 94 - الأربعاء 7 حزيران (يونيو) 2006

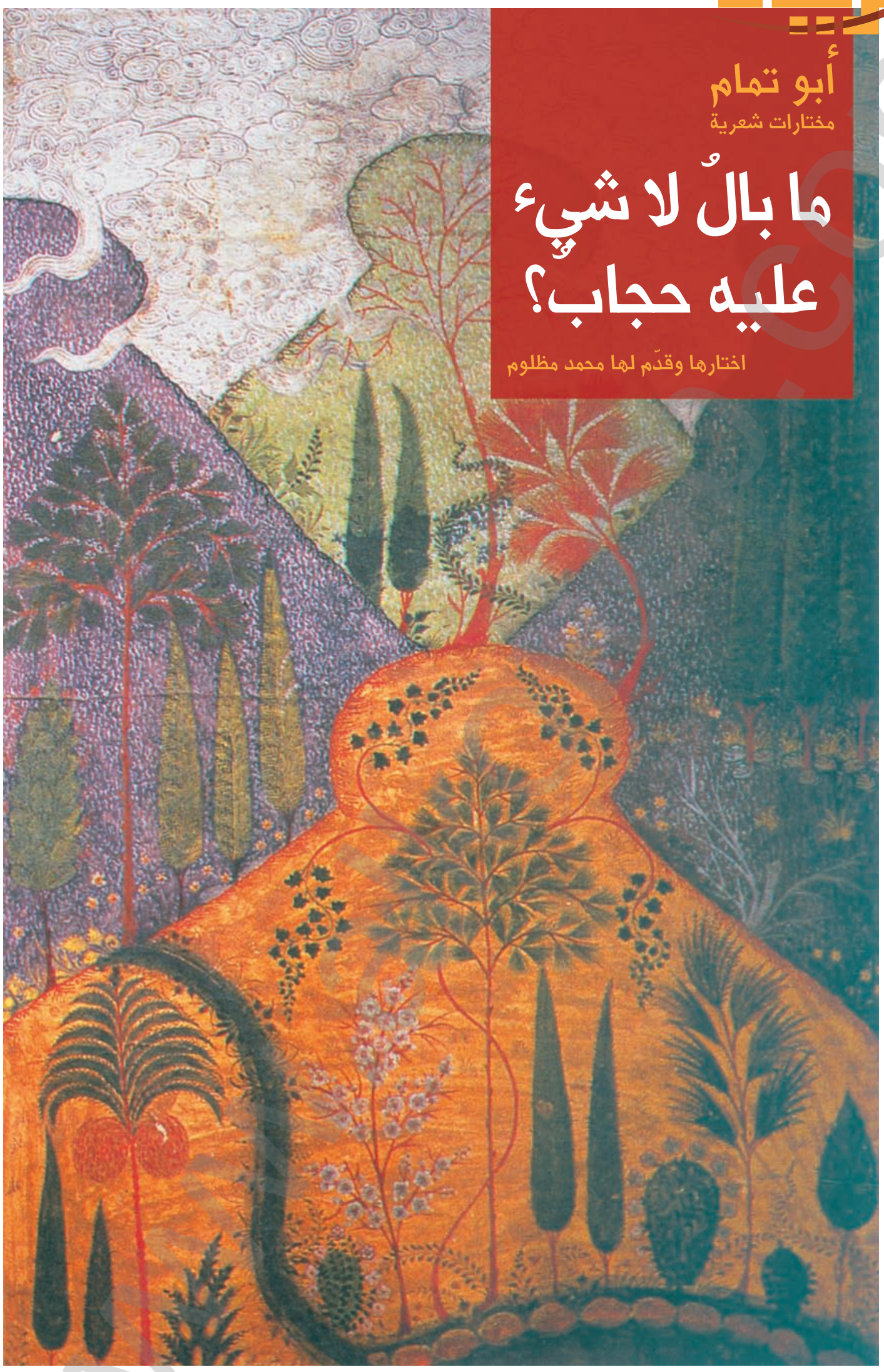

أبو تمام

مختارات شعرية

ما بالُ لا شيءٍ عليه حجابُ؟

اختارها وقدّم لها محمد مظلوم

النهضة

اليونسكو
الشريك الثقافي

MBI FOUNDATION
المؤسسة الراعية

www.alkottob.com

الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»
الذكرى الستين لتأسيس «اليونسكو»

في إطار احتفالات الذكرى الستين لتأسيس اليونسكو، والذكرى العاشرة لانطلاقة «كتاب في جريدة»، وبدعوة من النائب غسان تويني رئيس تحرير صحيفة النهار اللبنانية، أقيم في جريدة النهار احتفالٌ بحضور السيد كويشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو، والسيد طارق متري وزير الثقافة اللبناني، والسيد مروان حمادة وزير الاتصالات والآنسة نايلة جبران تويني، والدكتور أحمد الصياد نائب مدير عام اليونسكو للشؤون الخارجية والتعاون والدكتور عبد المنعم عثمان مدير مكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت وعدد من الشخصيات الثقافية والإعلامية والتربوية،

ولأسباب خارجة عن إرادته، لم يتمكن من الحضور معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والديمقراطية والتسامح، راعي «كتاب في جريدة». وقد مثله في هذه المناسبة الشاعر شوقي عبدالأمير.

فيما يلي نص كلمة كل من المدير العام ومعالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر.

كلمة السيد كويشيرو ماتسورا:

السيد الوزير،
السيد المدير،
أصحاب السعادة،
السيدات والسادة،

إن التظاهرة التي تجمعنا هذا اليوم في مقر صحيفة «النهار» بمناسبة الذكرى الستين لإنشاء اليونسكو هي بالنسبة لي مصدرُ إرتياح كبير وعلى أكثرَ من صعيد.
أوّلاً أنها تقام في بيروت لتشّهد بالطبيعة التي أردت أن أعطيها لإحياء هذه الذكرى: أي أن يُحتفى بها خارج مقر اليونسكو وحتى خارج مواقع اليونسكو بالمعنى العريض للكلمة.
ولهذا أودّ أن أشكركم أيها السيد مدير صحيفة النهار لسماحكم بالقيام بهذه الذكرى في هذا الإطار.
إن مصدر ارتياحي الثاني هو أن هذا الاحتفال يقام حول كتاب.
كيف يمكن في بلاد بيبلوس أن لا نشير إلى القيمة الجوهريّة للكتابة في العلاقات بين البشر ومن أجل بناء السلام؟ إن الكتاب الذي نحتفي به اليوم يجمع التأريخ الثقافي لليونسكو أي أنه يقع في قلب وجودنا وهو ما أطلقت عليه إسم "الشعلة الخفيّة".
يضم هذا الكتاب الذي طلبت من الفيلسوف روجيه بول دروا تحضيرَه مُنتخبات واسعةً من نُصوص واستشهادات من أرشيف اليونسكو تؤكد إستمراريةَ استلهام مُنظمتناَ منذ تأسيسها وتعددية المشاكل التي واجهتها.
يتوجب علينا اليومَ أن نُحدد أين تقع الرهاناتُ وما هي التحدّيات. وعلينا، في خضم المهمة التي تقع على عاتقنا، أن نحدد الاسبقيات والميادين ذات الطابع الاستراتيجي.
بعد الانتهاء مباشرة من الحرب، شكلت المعركةُ الصارمةُ من أجل إجتثاث العنصرية محوراً كبيراً سمح لليونسكو بالمساهمة بشكل حاسم بالقيام بتحول جذري للأخلاقيات. تلى ذلك التخطيط للنظم التربوية لتفرض نفسها كرهان جوهري بحيث احتلت اليونسكو موقع الصدارة في هذا الميدان. كما أن بُروزَ مفهوم التراث المشترك للانسانية كرد فعل للمخاطر التي كانت تتهدد في سنوات السبعين معابد النوبة قد شكلت مساهمة أساسيّة لليونسكو من أجل رؤية جديدة للعالم بحيث أصبحَ قَرَنُنا يُدركُ إلى أي مدى صارت هذه الرؤية حيوية من أجل مستقبل الإنسانية.
وأنا شخصياً إقترحت أن يكون التعليم للجميع والمياه وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والتنوع الثقافي وبناء مجتمعات المعرفة القائمة على حرية إنتقال الأفكار، من أولى أسبقيات اليونسكو لعصرنا هذا وقد أقرّ المؤتمر العام هذا الاختيار.
إن النظرَ من بعيد إلى هذا الكتاب يُظهر أن اليونسكو قد نهجت على الدوام نوعيْن من المبادرات: الاستباقُ من جهة والأمانة للاستلهام الأساسي الثابت في رسالة اليونسكو والذي يهدف إلى «رفع حصون السلام في عقول البشر» من جهة أخرى.
هذه المبادئ تمنحني في الواقع السبب الثالث لإحساسي بالسعادة الكبيرة في هذا الاحتفال الذي يجمعنا حيث أنه يجري في مقر صحيفة يوميّة كبرى.
في الواقع إن أوّل المبادئ التي أقرها الميثاق التأسيسي هي «حريّة إنتقال الأفكار بالنص والصورة». وهو يشكل منطلقاً لكل المبادئ الأخرى وفي نفس الوقت التعبير الأسمى عن «المثال الديمقراطي للكرامة والمساواة وإحترام الكائن البشري».

إن حرية وتعددية الصحافة هما الشرطان الضروريان لممارسة حق الكرامة الذي يُؤمِّنُ لكل شخص "حريّةَ البحث عن الحقيقة"، الأمر الذي يفترضُ توفرَ التعدديّة والمستوى الرفيع لمصادر المعلومات.
أودُّ في هذا الإطار أن أحيي وبكُلِّ حماس الصحفيين اللبنانيين اللذين قدّما حياتيهما وهما يمارسان عملهما الصحفي؛ سمير قصير وجبران تويني. لقد كانا كلاهما مناضلين شديدي المراس من أجل حرية التعبير والتفكير التي كم هي ضرورية من أجل تقدم الإنسانية. إعلموا أنني أشارك بكل مشاعري في الحداد الذي تكابدُه صحيفة "النهار" التي تعرضت مرّتين خلال شهور لضربة قاسية ومن خلالها لبنان بأكمله.
وأهنّئ نفسي بأن جائزة «اليونسكو غويرمو كانو» لحرية التعبير قد منحت هذه السنة إلى مواطنة لبنانية كبيرة؛ وهي الصحفيّة مي شدياق التي تعرّضت هي الأخرى لمحاولة إغتيال. سأمنحها رسمياً بعد بضعة أيام في سيريلانكا هذه الجائزة، ليتمكن هذا الامتياز الدولي من أن يحمل، باسم كل ضحايا الجرائم البشعة، شعلة الحرية الأساسية والحيوية لمستقبل الإنسانية.
السيد الوزير، السيد المدير
بعد إختيار منتخبات من هذا الكتاب «الانسانية في طور البناء» ونشرها في «كتاب في جريدة» وهو المشروع الذي قدّمت له اليونسكو دعمها منذ انطلاقته فإن الـ91 صحيفة المشاركة في برنامج عمله تكون قد نشرت صدى اليونسكو بين الملايين من القراء لتسهم عبر ذلك بأن تضع بين أيدي كل المواطنين والقراء ما نريد أن نقدّمه في الذكرى الستين ولهذا فأنا أشكرهم من كل قلبي.
واليوم فإن نشر الكتاب بكامله في اللغة العربية هو ما يمكن أن يحدث بفضل مبادرتكم أيّها السيد المدير إنطلاقاً من الترجمة التي تمّت تحت رعاية اليونسكو وبمبادرة منها. لقد كنت آمل بحرارة أن ينتقل هذا الكتاب الغني بالأفكار وبالمعلومات إلى أيدي قراء اللغة العربية كما هو الحال في اللغة الفرنسية والانكليزية. وهذا ما سيكون أمراً منجزاً خلال أشهر بفضل دعم مؤسسة "النهار" بالتنسيق مع مكتبنا في بيروت. إنني سعيد جداً وأشكر السيد شوقي عبدالأمير المندوب الدائم المساعد للعراق لدى اليونسكو الذي لم يدّخر جهداً لانجاز هذا المشروع بكامله والذي كانت فكرته منذ البداية.
يُعلّمنا هذا الكتاب أن الانسانية بجوهرها ما زالت في طور البناء وهي ليست منجزةً ولا متحققةً قط. ولذا فإن من واجبنا العمل من أجل ذلك باستمرار وأنه لشرف لليونسكو أن تشجع وتبعث الأمل في هذه المهمة.

أشكركم

كلمة الشيخ محمد بن عيسى الجابر

المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والتسامح والديمقراطية
راعي «كتاب في جريدة»:

السيّد مدير عام اليونسكو
السيد وزير الثقافة
السيد رئيس التحرير

إنّها مناسبةٌ تجمع عدّة مُناسبات وكلُّها مُحمّلةٌ بالرموز والدلالات الكبيرة،
فهي زيارةٌ السيد كويشيرو ماتسّورا مُدير عام منظمة اليونسكو إلى بيروت عاصمة الثقافة العربيّة الدائمة،
وهي الذكرى الستُّون لتأسيس اليونسكو الحضن الدَولي الأرحب لبناء الإنسان والسَلام
وهي الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»، أكبر مشروع ثَقافيٍّ عربي مُشترك من بيروت المكافحة دائماً من أجل مُجتمع مُتحرّر تعدّدي وديمقراطي تتَعايشُ فيه كلُّ أشكال الطيف الحَضاريِّ البشريِّ عرقيًّا ودينياً، تحتَ سَقف صحيفة «النهار»، التي أحتفلتْ هي الأخرى بالذكرى السبعين لتأسيسها قبل أعوام، منبر الكلمة الحرّة التي قدّمتْ من أجلهَ قبل بضَعة شهور شهيدين من أبنائها (جبران تويني وسمير قصير) الذين أفاضوا دماءَهم حبراً وكلمات أكثرَ إشعاعاً وخُلوداً،
وها هي مَنظمةُ اليونسكو مُمثلةٌ بالسيد المدير العام تقدّم جائزة حرية الصحافة العالمية لهذا العام 2006 للصحفية التلفزيونية اللبنانية التي تُعرف اليوم بـ «الشهيدة الحيّة مي شدياق» لتُؤكّدَ كما في كُلِّ مرّة وقوفها دائماً وأبداً في صَفِّ أحرار العالم من أجل بناء إنسانية أفضلَ سعياً وراءَ المبادئ السامية التي تحملُها اليونسكو، واستكمالاً للمسيرة الإنسانية الطويلة من أجل تربيَة جَيل قائمٍ على المعرفة والديمقراطية والتسامح...
إن إجتماعاً كهذا لا يمكّن إلاّ أن يكونَ شُعلةً مُكتنزةً بالنور والعطاء والأمل...
وبهذه المناسبة فإنني أودُّ أن أعبّرَ لكم عن سعادتي البالغة بالسيرِ يداً بيد مع منظمة اليونسكو لدعم كُلِّ مشاريعها التنورية والإنسانية في مُجتمعنا العربي من مُحيطه إلى خَليجه وأنْ أضَعَ نفسي في خِدمة المُثلَ الانسانية العُليا التي من أجلها شُيّدتَ منظمةُ اليونسكو لأنني أؤمنُ بأن لهذه المنظمة دوراً كبيراً بين ظَهرانينا وأننا اليومَ في كُلّ الدول العربية بحاجة إلى حُضورها ومشاركتها في جَميع ميادين إختصاصها...
ومن أجلَ هذا سبقَ لي أنْ وَقّعتُ بروتوكولاً طموحاً مع السيد كويشيرو ماتسورا في 2002 من أجل تَطوير، تحديث وإصلاح النظام التعليميِّ في الشرق الأوسط والذي بدأ فعلاً تنفيذَهُ بما يَسمحُ للنهوض بمشاريعَ تنموية كُبرى وتشجيع ثقافة السلام وبناء الديمقراطية بالإضافة إلى التبنّي الكُلّي لمشروع اليونسكو الرائد والذي كان يمرُّ بفترة عُصيبة «كتاب في جريدة» وهو اليومَ يُدركُ سنتَهُ العاشرة تحتَ رعايتنا ودعمنا.
إنّ «كتاب في جريدة» هو الخيمةُ العربيّةُ الكُبرى التي تَجمعُ القارئَ العربي في كُل مكان وقد أصبحَ اليوم بعدَ عشرة سنوات من تأسيسه صَرحاً ثقافياً في حاضرتنا العربيّة وجسراً لا بُدّ منهُ بين مبدعي الكلمة وقُرّائهم، من أجل نشر المعرفة وبناء الإنسانَ العربي في عَصر حوار الحضارات والعَولمة.
وأودُّ في الختام أن أقولَ مع السيّد المدير العام في كلمته بمناسبة الذكرى الستين لليونسكو:
«إنّ علينا أن نُركّزَ إهتمامَنا على الإلهام الأخلاقي لليونسكو والحوار والتعاون وإرساء المعايير وتناسُق تطورها وسُبل رقيِّها...
من أجل إعادة استكشاف الشُعلة الخفيّة لليونسكو» فالإنسانية حقاً – كما هو عنوانَ كتابنا – هي دائماً في طَور البناءَ وأن دورَ اليونسكو هو المشاركةُ في هذه المهمة الهائلة وإنه ليُشرّفني أن أقدّمَ مُساهمتي المتواضعة في دعم مَسيرتها النبيلة هذه.

www.alkottob.com

مختارات شعرية

ما بالُ لا شيءٍ عليه حجابُ؟

أبو تمام

اختيار وتقديم محمد مظلوم

ولد أبو تمام : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الحوراني سنة 188 هجرية – 804 ميلادية، في قرية جاسم على بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن دمشق، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: «وأصله من قرية جاسم من عمل الجيدور بالقرب من طبرية».

انتقل إلى دمشق حيث عمل في حداثته حائكا، ثم انتقل إلى حمص وتعرف فيها على ديك الجن الحمصي ومنها بدأتْ رحلتهُ مع الشعر، ثم غادر إلى مصر في صباه، فعمل سقاء في المسجد الجامع، ذاع صيته فاستقدمه المعتصم إلى عاصمته الجديدة: سامراء بعد أن أنتقل إليها من بغداد، تنقل في آسيا الوسطى وأقام فترة في خراسان.

مما جاء عنه في الأغاني « ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه» وكان قد امتدح عبد الله بن طاهر أمير خراسان فنثر عليه الأخير ألف دينار، فلم يلتقط منها شيئاً بل تركها لمن حوله يلتقطونها.

البحث عن شخصية أبي تمام في متون كتب التراث سيصطدم بقلق متعدد الأوجه سواء في نسبه أو في ديانته أو في مذهبه السياسي، إضافة إلى ارتحالاًت لا تخلو من نزوع لطموح غير مدرك، ما بين مدن الشام ومصر والعراق وخراسان ستشابهها بعد حين رحلة المتنبي وتتصل بقلقه، نسبةً ومذهباً سياسياً وتعبيراً عن هذا القلق.

إذ يستند المستشرق الإنكليزي دافيد صموئيل مارجليوث على واحدة من الروايات التي ترد ضمن أقوال متعددة تشير إلى أن أباه كان نصرانياً ويدعى تيدوس العطار ففيره إلى أوس، وانتسب إلى طيء.

وذهب طه حسين نحو أبعد مما رآه مارجليوث حين بنى على اسم «تيدوس» فكرة سعى من خلالها إلى إيجاد تفسير مفترض لجذور الثقافة العميقة في شعر هذا الإعرابي، فعقد نوعاً من الصلة بين فكر أبي تمام الذي تطفح به أشعاره ومرجعيته، وبين «حكمة أثينا» مشيراً إلى إن اسم تيدوس قد يشير إلى الأصول الإغريقية، ويفسر هذه الثقافة المغايرة في تجربته الشعرية.

وسواء كان مسلماً أم مسيحياً، عربياً أم يونانياً، فإن تاريخ الشعر العربي لم يخبرنا عن شاعر حاز المعرفة بتراث الشعر العربي، وبأخبار الأولين وأنسابهم كأبي تمام، إذ له العديد من كتب المختارات الشعرية أشهرها الحماستان: الحماسة الكبرى «ديوان الحماسة» و«الوحشيات» وهو «الحماسة الصغرى» إضافة إلى «فحول الشعراء» و «أشعار القبائل»

يميل النقد العربي القديم إلى عقد مقارنة بينه وبين المتنبي والبحتري، حتى أن الآمدي خصص كتاباً، أسماه «الموازنة بين الطائيين» لكن البحتري نفسه يحسم الأمر بقوله: نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

كما إنه سبق المتنبي في إشغال الناس والنقاد بأمرين هما: حقيقة نسبه، ومستوى شعره ومقايسته بمعاصريه والقريبين منه، بينما عاش في عصر لم يجدْ فيه مرحبين كثراً، ولم تبدُ حياته مستقرة في أي من الأماكن التي عاش فيها وهو ما يتضح في شعره، بتعبيرات متعاضدة عن قلق الإقامة، ووحشة السفر، وطلب الأصعب.

توفي في الموصل سنة 231 هـ – 846 م بعد أن عاش فيها سنتين والياً على بريدها.

يمكن وصف أبي تمام بأنه شاعر الطبع والصنعة بامتياز، وهو سيد الصور المركبة من غرائب التشبيهات، والعلاقات غير المعهودة بين المفردات في الشعر العربي والنحت الصعب والزخرفة الباروكية العميقة التي لا تتوقف عند حدود الديباجة بل تذهب نحو تزيين الباطن الصعب للمعاني ، وتعد تراكيبه اللغوية، بالمسالك الوعرة التي تسلكها، تمهيداً لمسارات لم تكن مطروقة في الشعر العربي قبل أن يسيرِ بها أبو تمام ركبه.

قصيدته مجلجلة كالحروب التي يوغل في وصفها بقدرة تقارب الملحمية، وهي موّارة بالصور المبتكرة ذات الأطياف العميقة المستمدة من تجربة في التجوال، وتأمل في الوحدة، وفي معرفة أخبار الأوّلين وأيامهم وعقائدهم، وقد أتاحت له ثقافته تلك، قاموساً بعيد الغور في تناول المعاني والتقاط جديدها، وشعره يصلح أن يكون نموذجاً متقدماً لدراسة الموارد المعرفية التي تصب في بحر قصيدته.

اعتمدت هذه المختارات على شعر أبي تمام خالصاً ومخلّصاً من وطأة مناسبته، في نسق شعري يتلبس غالباً بالغرض، لكنه يتجلى في صفائه، حتى وهو في غرضه، كما في الأغلب من مرثياته.

والحاصل إن مدائح أبي تمام ذاتها تندرج في سياق «الغرض الشعري» أكثر من اندراجها في تعظيم السلطان، خاصة وإن عدد ممدوحيه زاد على الخمسين، وليس جميعهم من ذي النفوذ العالي.

اختيار عنوان «مابالُ لا شيء عليه حجابُ» لهذه المختارات، وهي شطر من أحد أبياته، لم يأت لقوة جذبه التعبيرية فحسب، بل لأنه يجسد في كثافته إحدى الثيمات الأساسية التي ستبرز أمام القارئ لهذه المختارات دون شك.

كما حاولت إعطاء هذه المختارات صفة «المجموعة الشعرية» وبما يجعل منها في الوقت نفسه متضمنة صورة تقريبية عن مجمل شعر أبي تمام، بشقيه الفني وبتجربته الذاتية، إذ تبدو هذه التجربة في سياق الديوان الكامل وكأنها مبددة في أغراض متعددة.

رأيت من الضرورة شرح بعض المفردات في القصائد، خاصة وإن بعضها لا يقف عند حدود المعاني المعجمية، وإنما يتصل ببعد ثقافي آخر.

ربما من المهم الإشارة إلى إن معظم القراءات التي تصدت لتقييم شعر أبي تمام انطلقت في الواقع من «مناقشة» للآراء النقدية التي تناولت تجربته، ولذلك فإن معظم الآراء المتحصلة من تلك القراءات لا تخرج عن ثنائية التبجيل / التنكيل، من هنا تبقى قراءة فنية جمالية متخففة من عبء الإرث النقدي الذي يحيط بشعره، حاجة حقيقية رغم ما يكتنفها من صعوبات وسط هذا الخضم الواسع من الآراء المتناقضة، خاصة وإن شعره لا يزال حجة فنية في تأويل علاقة القارئ بالشعر في زمننا المأزوم ومأزقنا التعبيري.

الفن الإسلامي

الصور والرسوم التي ترافق هذا العدد اختيرت من عدد من المؤلفات الخاصة بتأريخ الفن الإسلامي أهمها: «تاريخ الفن – التصوير الاسلامي» – د. ثروت عكاشة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 1977.

وقد توخّينا في ذلك إعطاء مناخ تشكيلي مقارب جهد الإمكان للفترة التي عاشها أبو تمام وكذلك إختيار موضوعات المنمنات أو الرسوم. هذه الرسوم لا تنشر هنا للمرّة الأولى ولكنها في غالبيتها غير معروفة للطبقة الكبيرة من قراء «كتاب في جريدة» ومن هنا أهمية إعادة نشر البعض منها.

يشكر «كتاب في جريدة» الدكتور هشام نشابة، رئيس مجلس إدارة المعاهد العليا في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، عضو الهيئة الاستشارية في «كتاب في جريدة»، للمساعدة التي قدمها لنا في هذا الإطار من خلال توفيره العديد من المؤلفات القيمة الموجودة في المكتبة العامة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

www.alkottob.com

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلاّل دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المَقَّر
بيروت، لبنان
يصدر بالتعاون
مع وزارة الثقافة

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

المحرّر الأدبي
محمد مظلوم

سكرتاريا وطباعة
هناء عيد

المطبعة
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية
«القوتلي ومشاركوه ـ محامون»

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر

الهيئة الاستشارية
أدونيس
أحمد الصيّاد
أحمد بن عثمان التويجري
جابر عصفور
جودت فخر الدين
سلمى حفار الكزبري
سمير سرحان
سيد ياسين
عبد الله الغذامي
عبد الله يتيم
عبد العزيز المقالح
عبد الغفار حسين
عبد الوهاب بو حديبة
فريال غزول
محمد ربيع
مهدي الحافظ
ناصر الظاهري
ناصر العثمان
نهاد ابراهيم باشا
هشام نشّابة
يمنى العيد

الصحف الشريكة
الأهرام القاهرة
الأيام رام الله
الأيام المنامة
تشرين دمشق
الثورة صنعاء
الخليج الإمارات
الدستور عمّان
الرأي عمّان
الراية الدوحة
الرياض الرياض
الشعب الجزائر
الشعب نواكشوط
الصحافة الخرطوم
العرب طرابلس الغرب وتونس
مجلة العربي الكويت
القدس العربي لندن
النهار بيروت
الوطن مسقط

خضع ترتيب أسماء
الهيئة الإستشارية
والصحف للتسلسل الألفبائي
حسب الاسم الأول

صورة الغلاف:
عن مخطوطة تضم مختارات من النصوص الصوفية تعود إلى نهاية القرن الرابع عشر في إيران متحف الفن التركي والإسلامي، اسطنبول.

كتاب في جريدة
العدد الثامن والعشرون
التسلسل العام: عدد رقم 94
(7 حزيران 2006)
ص.ب 1460-11 ـ بيروت، لبنان
تلفون/ فاكس 630 248 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb
kitabfijarida@hotmail.com

www.alkottob.com

مختارات شعرية

ما بالُ لا شيء عليه حجابُ؟

أبو تمام

ليل القصيدة

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللسان قلادَة ... سِمْطَانِ فِيْهَا اللؤلؤُ المَكْنُونُ
حُذِيَتْ حِذَاءَ الخَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ ... وأجَادَهَا التخصيرُ والتلسِيْنُ
إنسيَّةٌ وحشيَّة كَثُرتْ بها ... حَرَكَاتُ أهلِ الأرض وهيَ سكونُ
يَنبُوعُها خَضِلٌ وحَلْيُ قَريضِها ... حَلْيُ الهَدِيِّ وَنَسْجُهَا مَوْضُونُ [1]
أمَا المَعَاني فَهْيَ أبكارٌ إذا ... نَصَّتْ ولكنَّ القوافِيَ عَوْنُ
أَحذاكَها صنعَ اللسان يَمُدُّهُ ... جَفرٌ إذا نَضَبَ الكَلامُ مَعِينُ [2]
وَيُسيءُ بالإحسانِ ظَنّاً لا كَمَن ... هُوَ بابنِهِ وَبِشعرِهِ مَفتونُ

وليلها الآخر..

خُذها مُغَرِّبَة في الأرْضِ آنِسَة ... بِكُلِ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ
منْ كُلِّ قافية فيها إذا اجتنيتْ ... منْ كلِّ ما يَجْتَنيهِ المُدْنَفُ الوَصِب
الجِدُّ والهَزْلُ في تَوْشيعِ لُحْمَتِها ... والنُّبلُ والسُّخفُ والأشجانُ والطرب
لا يُستَقى مِن جَفيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُها ... ولم تَزَلْ تَسْتَقِي مِن بَحْرِها الكُتبُ

رقص الدراويش – المكتبة البودلية بأكسفورد.

السراب في فناء البيت.

فاضَ اللئامُ وَغَاضت الأحساب ... واجْتُثت العلياءُ والآدَابُ
فَكأنَّ يومَ البعْث فاجأَهُمْ فلا ... أنْسَابَ بَينَهُمُ ولاْ أسْبَاب
هَبْ مَنْ له شيءٌ يُريدُ حِجَابَهُ ... ما بَالُ لاشيءٍ عَلَيْهِ حِجابُ؟
ما إنْ سَمِعْتُ ولاْ أراني سَامِعَاً ... أبداً بِصَحْرَاءَ عَلَيها بابُ
مَنْ كانَ مفقودَ الحَياءِ فَوَجْهُهُ ... مِنْ غيرِ بَوَّابٍ لهُ بَوَّابُ
مازَالَ وسواسي لِعقْلي خَادِعاً ... حتَّى رَجَا مَطَراً وَلَيْسَ سحاب
ما كنتُ أَدري – لا دَرَيتُ – بأَنَّه ... يجري بأفنية البُيوتِ سَرابُ.

[1] الهدي: ما يهدى إلى الحرم من الأنعام والأكباش، والموضونة المنسوجة بالجواهر.. جاء في القرآن الكريم: (على سرر موضونة)

[2] الجيفر: البئر الواسعة

www.alkottob.com

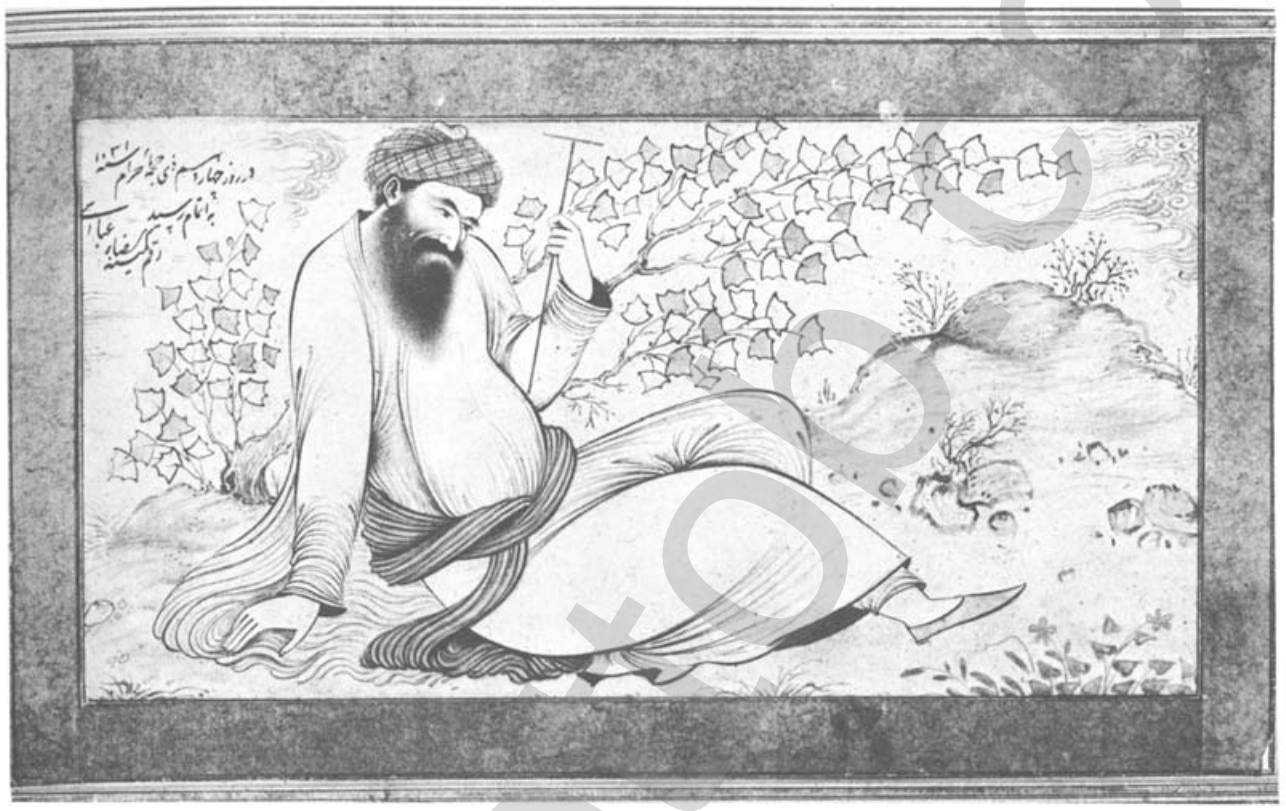

درويش يتأمل – من تصوير رضا عباسي – دار الكتب القومية بباريس.

خليفة الخضر

ما اليومُ أولُ تَوْديع ولا الثَّاني ... البينُ أكثرُ من شوقي وأحْزاني
دَع الفِراقَ فإنَّ الدَّهْرَ ساعدَه ... فصارَ أملكَ مِنْ رُوحي بجُثْماني
خَليفةُ الْخضْرِ مَنْ يربْعْ على وَطَنٍ ... في بلدة فَظُهُوْرُ العيس أوْطَاني
بالشَّام أهلي وبَغدادُ الهَوَى وَأنا ... بالرقَّتين، وبالفُسْطاط إخْواني
وَما أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ ... حتَّى تُطوِّحَ بي أقصى خُراسان
خَلَّفْتُ بالأُفُق الغَرْبيِّ لِيْ سَكَناً ... قدْ كانَ عيشي به حلواً بحُلوان
غُصْنٌ مَنَ البَانَ مُهْتَزٌّ على قَمَر ... يهتزُّ مثلَ اهتزاز الغُصن في البان
أفنيتُ من بَعده فيضَ الدُّمُوع كَما ... أفنيتُ في هجْره صَبري وسُلواني
وليسَ يَعْرِفُ كُنْهَ الوَصْلِ صَاحبُه ... حتَّى يُغادَىْ بنأيٍ أو بهجران

كسوف أبيض!

نَسَجَ المَشيبُ لهُ لِفاعاً مُغْدفَا ... يققاً فقنَّعَ مذرَوَيْه وَنَصَّفا[3]
نَظَرُ الزمانِ إليه قطَّعَ دونَهُ ... نَظَرَ الشقيق تَحسُّراً وَتَلهُّفا
ما اسودَّ حتَّى ابيَضَّ كَالكَرم الذي ... لَمْ يَأْنِ حتَّى جِيءَ كَيْمَا يُقْطَفا
لمّا تفوَّفت الخطوبُ سَوادَهَا ... بِبَياضِها عَبَثَتْ به فَتَفَوَّفا[4]
ما كانَ يَخْطُرُ قبلَ ذا في فِكْره ... في البدرِ قَبْلَ تَمَامِه أنْ يكسِفا

بحر في لحد

كَذَاْ فليجلَّ[5] الخطبُ وليفدحِ الأمْرُ ... فليسَ لعينٍ لمْ يفِضْ ماؤها عُذرُ
توفِّيت الآمالُ بعدَ مُحَمد ... وأصبحَ في شُغلٍ عن السَفرِ السفرُ
وما كانَ إلا مالَ مَنْ قلَّ مالُهُ ... وذخراً لمنْ أمسى وليسَ لهُ ذُخرُ
وما كانَ يدري مجتدي جود كفِّه ... إذا ما استهلَّتْ أنَّه خُلِقَ العُسْرُ
ألا في سبيلِ اللهِ منْ عُطِّلتْ لهُ ... فِجَاجُ سَبيلِ اللهِ وانثغَرَ الثَّغْرُ
فَتًى كُلَّما فاضَتْ عُيونُ قَبيلة ... دماً ضَحكتْ عنه الأحاديثُ والذكْرُ
فتى ماتَ بين الضربِ والطعنِ ميتة ... تقومُ مقامَ النصرِ إنْ فاتهَ النصرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضربُ سَيفه ... منَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فردَّهُ ... إليه الحفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعَافُ العارَ حتَّى كأنَّهُ ... هو الكفرُ يومَ الروعِ أوْ دونَهُ الكُفرُ
فأثبتَ في مُستنقعِ المَوْتِ رِجْلَهُ ... وقالَ لها: منْ تحتِ أخمُصكِ الحَشرُ
غَدَا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائِه ... فلمْ ينصَرِفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ
تردَّى ثيابَ المَوْتِ حُمْراً فَما أتى ... لها الليلُ إلاَّ وهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
فتىً كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا منْ غَضاضَة ... ولكنَّ كبراً أنْ يقالَ به كِبْرُ!
فتى سلبتهُ الخيلُ وهوَ حمى لها ... وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْوَ لها جَمْرُ
وَقَد كانَت البيضُ المَاثيرُ في الوَغى ... بَواترَ فَهيَ الآنَ من بَعدِه بُترُ
أَمِن بَعدِ طَيِّ الحادثاتِ مُحَمَّداً ... يَكونُ لأَثوابِ النَدى أَبَداً نَشرُ
إذا شجراتُ العرفِ جذَّتْ[6] أصولَها ... ففي أيِّ فرعٍ يوجدُ الورَقُ النضْرُ؟
لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهْرُ الخَؤونُ لفَقْدِه ... لَعَهْدِي به ممَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ
سقى الغَيْثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شَخْصَهُ ... وإنْ لم يكنْ فيهِ سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيفَ احْتمالي للسَّحابِ صَنيْعة ... بإسقائِها قَبْراً وفي لَحدِه البَحْرُ!
مَضَى طاهرَ الأثوابِ لمْ تَبْقَ روضة ... غَداة ثَوَى إلا اشتهتْ أنَّها قَبْرُ

[3] مغدفاً: الواسع والمسترسل واليقق: البياض، ومذرويه (أي جانبي رأسه بمعنى: فوديه)

[4] تفوف: تجاور البياض مع السواد، وبُرد مفوف: مخطط بالأبيض.

[5] عدا عن الاستهلال غير المعهود في الشعر العربي «بكذا» نجد إن الفعل المضارع «يجلّ» مبني على الفتح هنا، وذلك لاتصاله بنون توكيد محذوفة، لاجتماع لام الأمر والتوكيد.

[6] جذّت: قطعت

www.alkottob.com

لا أنت أنت

لا أنتَ أنتَ ولا الـــديّـــارُ ديـــار ... خـفَّ الـهـوى وتَـوَلَّـتِ الأوْطَـارُ
كـانَـتْ مجاورة الـطُّـلـول وأَهـلِـهـا ... زَمـنـاً عِـذابَ الـورد فـهـي بـحـارُ
أيَّـامَ تُـدْمِـي عَـيـنَـه تِـلكَ الـدُّمـى ... فِـيْـهَـا وتَـقْـمُـرُ لُـبَّـهُ الأقْـمَـارُ
إذ لا صَـدوفُ ولا كَـنـودُ اسـمـاهُـمـا ... كَـالمعـنـيين ولا نـوارُ نـوار[7]
بـيضٌ فَـهـنَّ إذا رُمِـقْـنَ سَـوافِـراً ... صـورٌ وهـنَّ إذا رمـقـنَ صـوار[8]
في حَيثُ يُمتهنُ الحَديثُ لِذي الصبـ ... ـوتُـحـصَّـنُ الأسـرَار والأَسـرارُ
إذْ في الـقـتـادةِ وهـي أبـخـلُ أيـكـة ... ثَـمـرٌ وإذ عُـودُ الـزَّمـانِ نُـضـارُ

وَطَن سِوَى وَطَني

أَرَاكَ أكـبَـرْتَ إدْمَـاني عـلـى الـدمَـنِ ... وحـمـليَ الشوقَ مِنْ بادٍ ومكتمنِ[9]
لا تـكـثـرنَّ مـلامـي إنْ عَـكـفـتُ عـلـى ... رَبْعِ الحَبيبِ فلَمْ أعكف على وَثَنِ
سلوتُ إنْ كنتُ أدري ما تقولُ إذنْ ... مجَّتْ مـقـالـتَـهـا في وجْـهـهـا أذُني
الحُبُّ أَوْلى بـقَـلْـبـي في تَـصَـرُّفِـه ... مَـنْ أَن يُـغـادرَني يَـوْمـاً بـلا شَـجَـنِ
حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوى صَرْفَ الأسَى وحَدَاً ... بـالـبَـثِّ في دَوْلـةِ الإغْـرامِ والـدَّدَنِ[10]
مما وجَدْتُ على الأحشاءِ أوقدَ مِنْ ... دَمْعٍ على وَطَنٍ لِي في سِوَى وَطَني
صَيَّرْتُ لِي مِنْ تَبَارِي عَبْرَتي سَكَناً ... مذْ صرتُ فرداً بلا إلفٍ ولا سَكَنِ
مَـنْ ذَا يُـعـظِّـمُ مِـقْـدَارَ السُّـرور بِـمَـنْ ... يـهـوى إذا لـمْ يـعـظـمْ موضعَ الحزنِ؟
البـيـد والـعـيسُ والـلـيلُ الـتـمامُ مـعـا ... ثـلاثـة أبـداً يُـقـرنَّ في قَـرَنِ.

شاعر في حديقة – الطراز المنغولي، 15 – 1605 – متحف الفنون الجميلة، بوسطن.

[7] الصدوف : الإعراض عن الشيء، والكنود: الكفر بالنعمة

[8] الصوار، قطيع البقر المتوحش

[9] المكتمن: الخافي المضمر.

[10] الددن: اللهو واللعب

www.alkottob.com

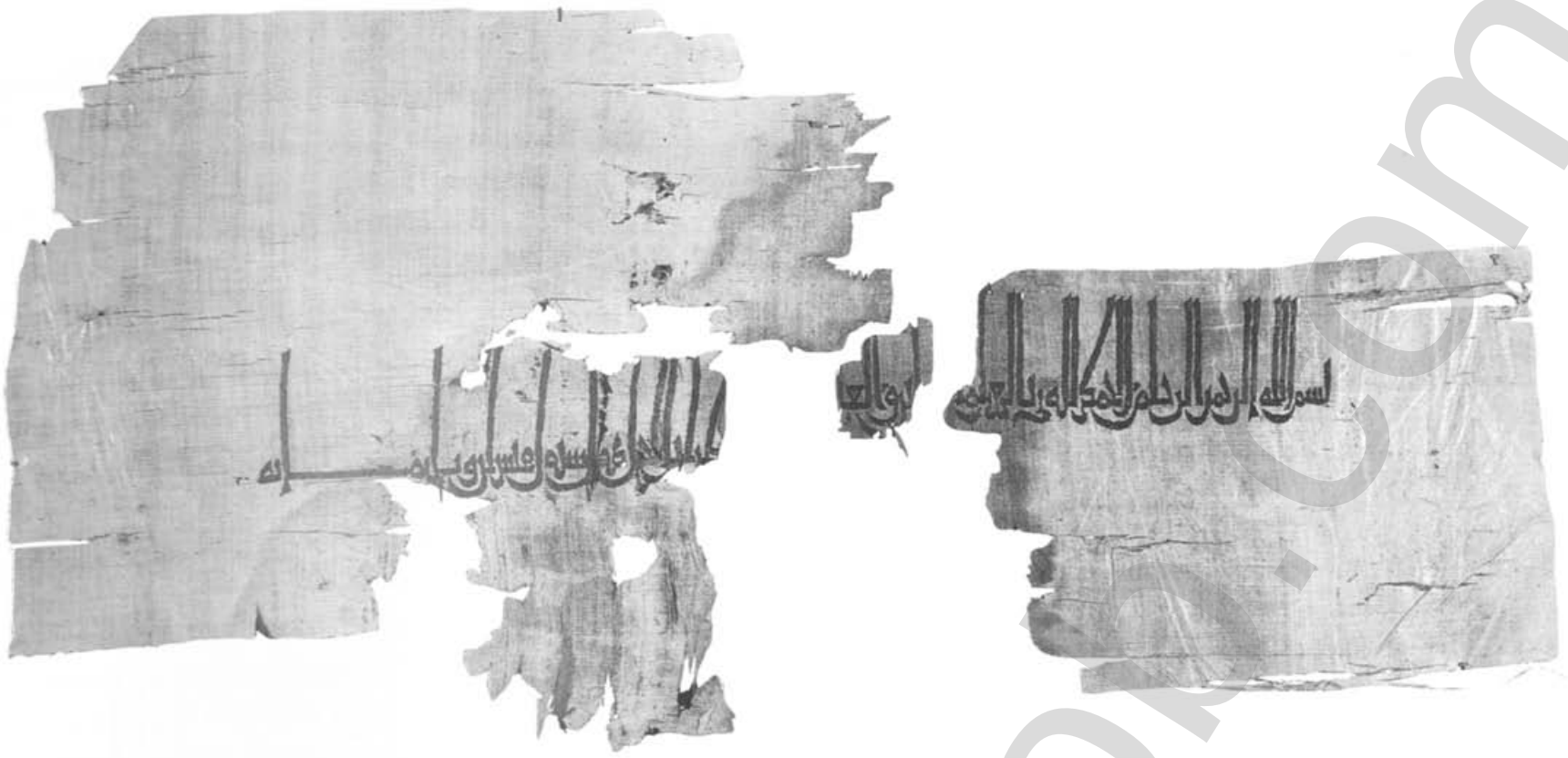

رسوم قماش – القرن العاشر 932م (العراق أو إيران) – متحف الأقمشة، واشنطن.

شرق وغرب

لَقَدْ أَخَذَتْ مِن دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ
وعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقِضُ العَهْدِ بَدْرُهَا
مُؤَزَّرَةٍ مِنْ صَنْعَةِ الوَبْلِ والنَّدَى
تَحَيَّرَ فِي آرَامِهَا الحُسْنُ، فَاغْتَدَتْ
سَوَاكِنُ فِي بِرٍّ كَمَا سَكَنَ الدُّمَى
كَوَاعِبُ أَتْرَابٌ لِغِيدَاءَ أَصْبَحَتْ
لَهَا مَنْظَرٌ قِيدُ النَّوَاظِرِ لَمْ يَزَلْ
يَظَلُّ سَرَاةُ القَوْمِ مَثْنَى ومَوْحَدَا
مَضَوْا وهُمُ أَوْتَادُ نَجْدٍ وأَرْضِهَا
وما كانَ بَيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وبينهمْ
لَهُمْ نَسَبٌ كالفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ
فَمَا دبَّ إِلاَّ فِي بُيُوتِهِمُ النَّدَى
أَشَمُّ شَرِيكِيٌّ يسيرُ أَمَامَهُ
ولَمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَايَاتِكَ التِي
تَوَلَّى ولم يألُ الرَّدَى فِي اتِّبَاعِهِ
كَأَنَّ بِلادَ الرُّومِ عُمِّمَتْ بِصِيحَةٍ
ومرَّ ونارُ الكربِ تلفحُ قلبَهُ
مَضَى مُدْبِراً شَطْرَ الدَّبُّورِ، ونَفْسُهُ
جفا الشَّرق حتَّى ظنَّ من كان جاهلا

أُنَحْلُ المَغَانِي لِلْبِلَى هِيَ أَمْ نَهْبُ!
مُرَاحُ الهوى فِيْهَا وَمَسْرَحُهُ الخِصبُ
بوشيٍ ولاْ وَشْيٌ، وعَصبٍ ولا عَصبُ
قَرَارَةَ مَنْ يُصْبِي ونُجْعَةَ مَنْ يَصْبُو[11]
نَوافِرُ مِنْ سُوءٍ كما نَفَرَ السَّرْبُ[12]
وليسَ لَها في الحُسْنِ شكْلٌ ولا تِرْبُ
يروحُ ويغدو في خُفارتِهِ الحُبُّ
نشاوى بعينيها كأَنَّهمُ شَرِبُ
يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الخَطْبُ
سوى أَنَّهم زالوا ولمْ يَزُلِ الهَضْبُ
خفيٌّ ولا وادٍ عنودٌ ولا شعبُ
ولمْ تَرْبُ إلاَّ فِي جُحُورِهِمُ الحَرْبُ
مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي كَتَائِبِهِ الرُّعْبُ
إِذَا ما اتلأَبَّتْ لا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ[13]
كأنَّ الرَّدى في قصدِهِ هائمٌ صبُّ
فَضَمَّتْ حَشَاها أَو رَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ
وما الرُّوحُ إلاَّ أَنْ يُخَامِرَهُ الكَرْبُ
على نفسه من سُوءِ ظنٍّ بها إلبُ[14]
بدينِ النَّصَارَى أَنَّ قِبْلَتَهُ الغَرْبُ

شمس يوشع

أَمَا إِنَّهُ لولا الخليطُ المودّعُ
لَرُدَّتْ على أعقابِها أَرْيحيَّةٌ
لحقنا بأُخراهم وقدْ حوَّمَ الهوى
فرُدَّتْ علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ
نضَا ضَوْؤهَا صِبْغَ الدُّجنَّةِ فانطَوَى
فوالله ما أدريْ أأحْلامُ نائمٍ
وعَهْدِي بها تُحْيِي الهَوَى وَتُميتُهُ
وأقرَعُ بالْعُتْبَى حُمَيَّا عِتَابِها
أَلَمْ تَرَ اَرَامَ الظِّبَاءِ كأَنَّما
لئن جزعَ الوحشيُّ منها لرؤيتي
غدا الهمُّ مختطاً بفوديَّ خطَّةً
هو الزورُ يجفى، والمعاشرُ يجتوى
لَهُ مَنْظَرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصعٌ
لقد آسفَ الأعداءَ مجدُ ابنِ يُوسُفٍ
أخذْتِ بحبلٍ منْه لمَّا لَوَيْتُه
هو السيلُ إنْ واجهتَهُ انقدتَ طَوعَهُ
يَقُولُ فَيُسمِعُ ويمْشِي فيُسْرِعُ[16]
إذا كانَتِ النُّعْمَى سَلُوباً مِن امْرئٍ
وإنْ عثرتْ سودُ الليالي وبيضُها

وربعٌ عَفا منهُ مَصيفٌ ومَربعُ
منَ الشوقِ واديها منَ الهمِّ مُتْرَعُ
قُلُوباً عَهِدْنا طَيرَها وَهْيَ وُقَّعُ
بشمسٍ لهم منْ جانب الخدرِ تطلعُ
لبهجتِها ثَوبُ السماءِ المُجزَّعُ
أَلَمَّتْ بنا أَمْ كانَ في الرَّكْبِ يُوشَعُ
وتشعبُ أعشارَ الفؤادِ وتصدعُ
وقدْ تستقيدُ الراحَ حينَ تُشعْشعُ
رأتْ بيَ سيْدَ الرملِ[15] والصبحُ أدْرَعُ
لإنْسيُّها من شَيْبِ رَأْسِيَ أجْزَعُ
طريقُ الردى منها إلى النفسِ مَهيعُ
وذُو الإلْفِ يُقْلِى، والجَدِيدُ يُرَقَّعُ
ولكنهُ في القلبِ أَسْودُ أَسْفَعُ
وذو النقصِ في الدنيا بذي الفضلِ مُولعُ
على مرِّ الأيامِ ظلتْ تقطعُ
وتقتادهُ منْ جانبيه فيتبعُ
ويَضربُ في ذَاتِ الإلهِ فَيُوجِعُ
غدتْ منْ خليجيْ كفِّه، وهيَ متبعُ
بوحْدَتِهِ أَلفيْتَها وَهْيَ مَجْمَعُ

[11] الآرام: المرتفعات، والنجعة المكان ذو العشب ومنه: المنتجع

[12] الدمى: الأصنام، والسرب: قطيع الماشية

[13] توفيل: ملك الروم أيام المعتصم، واتلأبت : استقامت واستوت

[14] الألب: من التأليب.

[15] يرى الآمدي إن أبان تمام يريد بسيد الرمل: الذئب، إذ تنفر منه النساء لشيبه كما تنفر الظباء من الذئب!

[16] يكثر في شعر أبي تمام مثل هذه التصرفات في أوزان الشعر، بالبحر الطويل خاصة، أو ما يسميه الآمدي باضطراب الوزن، ومن الواضح هنا، كما في أبيات أخرى ، إن تصرف أبي تمام، مقصود ولا يتعارض مع موسيقى الشعر.

www.alkottob.com

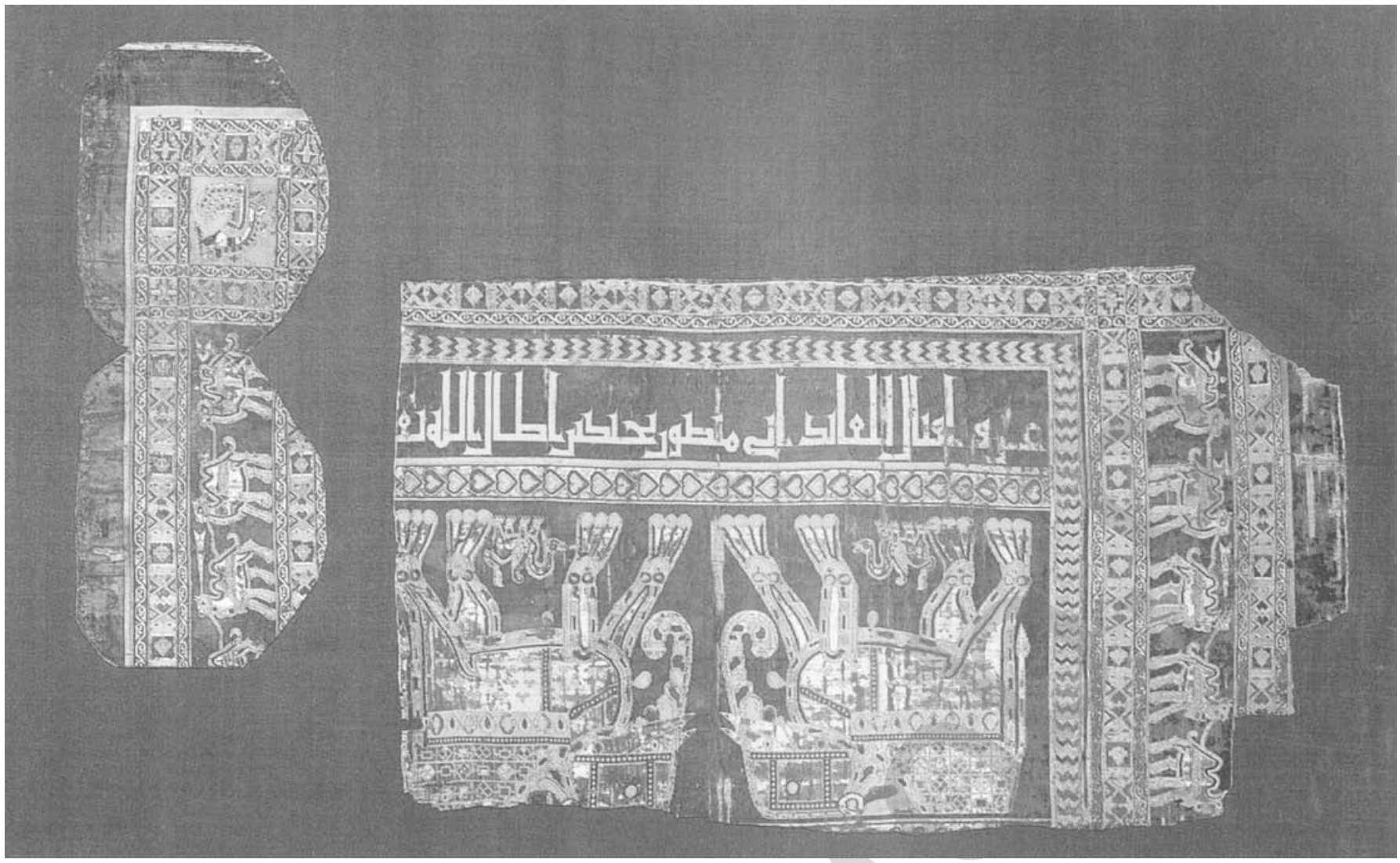

نسيج سان جوس – إيران أو آسيا الوسطى، القرن العاشر 961م – متحف اللوفر، باريس.

فليتقِ الله سائلُهْ

أجلْ أيُّها الربعُ الذي خَفَّ أَهلُهْ ... لَقَدْ أَدركَتْ فيكَ النَّوَى ما تُحاولُه
وقَفْتُ وأحشَائي مَنَازلُ للأَسَى ... بهِ، وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنازلُهْ
أُسَائلُكُمْ ما بَالُهُ حَكَمَ البِلَى ... عليه، وإلا فاتركُوني أسائلُهْ
بيَوْم تُريكَ المَوْتَ في صُورَة النَّوَى ... أَواخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وأَوائلُهْ
تَيقَّنْتُ أن البينَ أولُ فاتكٍ ... بهِ مُذْ رأيتُ الهجرَ، وهوَ يغازلُهْ
يُعَنفُني أنْ ضِقْتُ ذَرْعاً بنَأْيِه ... ويَجْزَعُ أَن ضاقَتْ عليه خَلاخلُهْ
أَتَتْكَ أَميرَ المؤْمنينَ وقَدْ أتى ... عليها المَلاْ أدْمائُهُ وجَراوِلُهْ
وصلنَ السُرى بالوخْدِ في كُلِّ صَحْصَحٍ[17] ... وبالسُّهُدِ المَوْصُولِ والنَّوْمُ خَاذلُهْ
رواحِلُنا قدْ بزَّنا الهمُّ أمْرَها ... إلى أن حسِبْنا أنَّهُنَّ رَوَاحلُهْ
إذا خَلَعَ الليلُ النهارَ رأيْتَها ... بإرقالِها مِنْ كُل وَجْه تُقابلُهْ
أتتهُ مُغذًّا قدْ أتاها كأنَّها، ... ولا شكَّ، كانتْ قبلَ ذاكَ تُراسلُهْ
هُوَ اليَمُّ مِنْ أَي النَّواحي أتيتَهُ ... فلُجَّتُه المعروفُ والجُودُ ساحلُهْ
تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لو أنَّه ... ثناها لقبضٍ لمْ تُجبهُ أناملُهْ
ولو لم يكُنْ في كفِهِ غيرُ روحِهِ ... لجادَ بها، فليتقِ اللهَ سائلُهْ

خضاب اللهِ وخِضابي

لَوْ أنَّ دهراً ردَّ رجعَ جواب ... أوْ كفَّ مِنْ شأويهِ طولُ عتابِ
لعذلتهُ في دمنتين برامةٍ ... مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَابِ
ثِنْتَان كالْقَمَرَيْن حُفَّ سَنَاهُمَا ... مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَابِ
طَمِنْ كُل ريم لَمْ تَرُمْ سُوءاً ولَمْ ... تَخْلِطْ صِبَى أَيَّامِها بِتَصَابي
أذكتْ عليهِ شهابِ نارٍ في الحشا ... بالعذل وهناً أختُ آلِ شهابِ
عذلاً شبيهاً بالجنونِ كأنَّما ... قَرأَتْ بِهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ كِتَاب[18]
أو ما رأتْ بُرديَّ من نسجِ الصِّبى ... قَرأَتْ بِهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ كِتَاب[18]

ما الحب إلا..

البينُ جرَّعَني نَقيعَ الحَنظلِ ... والبينُ أنكلني وإنْ لمْ أنكلِ
ما حَسْرتي أنْ كدتُ أقضي إنَّما ... حَسرَاتُ نَفْسي أنَّني لم أفْعلِ
نقلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ
كمْ منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى ... وحنينُه أبداً لأوَّلِ مَنْزلِ.

[17] الدماث: السهول، والجراول: الأرض الصلبة ذات الحجارة الخشنة، والوخد نوع من سير الإبل، والصحصح الأرض الواسعة المستوية.

[18] الورهاء: الحمقاء الخرقاء

www.alkottob.com

قدح – العراق، القرن التاسع – المتحف الإسلامي، برلين.

ليل تقتتل فيه القوافي

ما أقبلتْ أوْجُهُ اللذّات سافرةً ... منذْ أدبرَتْ باللوى أيامُنا الأوَلُ
إن شئتَ ألا ترى صَبْراً لمُصْطَبر ... فانظُرْ على أيِّ حال أصبَحَ الطَّلَلُ
كأنّما جَادَ مَغْناهُ، فَغَيَّرَه ... دُمُوعُنا، يومَ بانُوا، وَهْيَ تَنْهَمِلُ
وَلَوْتَرَاهُمْ وإيَّانا ومَوْقِفَنا ... في مأتمِ البينِ لاستهلالنا زجلُ
من حرقة أطلقتْها فرقةٌ أسرتْ ... قلباً ومنْ غزلٍ في نحرِه عذلُ
وقَدْ طَوَى الشَّوْقَ في أحشائنا بَقَرٌ ... عينٌ طوتهنَّ في أحشائها الكللُ
فرَغْنَ لِلسحْر حَتَّى ظَلَّ كُلُّ شَجٍ ... حَرَّان فيْ بَعْضِه عَنْ بعضِه شُغُلُ
يخزي ركامَ النقا ما في مآزرها ... ويَفْضَحُ الكُحْلَ في أجْفانها الكَحَلُ
تَكَادُ تَنتَقِلُ الأرواحُ لَوْ تُرِكَتْ ... من الجُسوم إليها حيثُ تنْتقلُ
طُلَّت دماءُ هُريقَت عِندَهُنَّ كَما ... طُلَّت دماءُ هَدايا مَكَّةَ الهَمَلُ
هانتْ على كلِّ شيءٍ فهو يَسْفكُها ... حتَّى المنازلُ والأحداجُ والإبلُ[19]
بالقائمِ الثَّامنِ المُسْتَخْلَفِ اطَّأدَتْ ... قواعدُ الملكِ ممتداً لها الطولُ
لو كانَ في عاجلٍ من آجلٍ بدلٌ ... لَكانَ في وَعْدِه منْ رِفْدِه بَدَلُ
تغايرَ الشعرُ فيه إذْ سَهِرتُ لهُ ... حتى ظَنَنْتُ قَوافيه سَتَقْتَتِلُ
لولا قبولِيَ نصحَ العَزْمِ مُرْتَحِلاً ... لَرَاكَضاني إليه الرَّحْلُ والجَمَلُ
لَهُ رِيَاضُ نَدىً لم يُكْبِ زَهْرَتَهَا ... خَلفٌ ولمْ تتبختر بينها العِلَلُ
مَدى العُفاة[20] فَلَم تَحلُل به قَدَمٌ ... إلاّ تَرَحَّلَ عَنها العَثْرُ وَالزَلَلُ
ما إن يُبالي إذا حَلّى خَلائقَهُ ... بجودِه أيَّ قُطرَيه حَوى العَطَلُ
أبو النجومِ التي ما ضنَّ ثاقبُها ... أن لم يَكُنْ بُرْجهُ ثَوْرٌ ولا حَمَلُ
منْ كُلِّ مُشتهرٍ فيْ كلِّ مُعترك ... لمْ يَعرفِ المُشْتري فيْه ولاْ زُحَلُ
يَحْمِيه لألاؤهُ أو لَوْذَعِيَّتُهُ ... من أنْ يُذالَ بمنْ أو مِمَّن الرَّجلُ
جليتَ والموتُ مبدٍ حرَّ صفحته ... وقدْ تَفرْعَنَ في أوصالِه الأجلُ
قَدْ جَاءَ مِنْ وَصفِكَ التَّفْسيرُ مُعْتَذِراً ... وقدْ تَفرْعَنَ في أوصالِه الأجلُ

قدح – إيران، القرن العاشر – المتحف الإسلامي، برلين.

منبع النار!

قَدْكَ اتئبْ، أَرْبَيْتَ في الغُلْواءِ ... كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِي[21]
لا تسقني ماءَ الملام فإنَّني ... صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي
ومُعرَّسٍ للغيثِ تَخفقُ بينهُ ... رَايَاتُ كل دُجُنَّةٍ وَطْفَاء[22]
نَشَرَتْ حَدَائِقَهُ فَصِرْنَ مَآلِفاً ... لِلطَّرَائِفِ الأَنْوَاءِ والأَنْدَاءِ
فَسَقَاهُ مِسْكُ الطَّلِّ كَافُورُ الصَّبَا ... وانْحَلَّ فيه خَيْطُ كُل سَماءِ
غُني الرَّبيعُ بروضه، فكأنَّما ... أَهْدَى إِلَيْه الوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ
صبَّحتُه بسُلافَة صَبَّحتُهَا ... بِسُلاَفَة الْخُلَطَاءِ والنُّدَمَاءِ
راحٌ إذا ما الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّها ... كَانَتْ مَطَايا الشَّوْقِ في الأَحْشَاءِ
عِنَبِيَّة ذَهَبِيَّةٌ سكَبتْ لَهَا ... ذَهَبَ المعاني صاغةُ الشُّعراءِ
أكلَ الزَّمانُ لطول مكث بقائها ... مَا كَانَ خَامَرَهَا مِنَ الأَقْذَاءِ[23]
صَعُبَتْ وراضَ المزجُ سيِّءَ خُلقِها ... فتعَّلمتْ من حسنِ خلقِ الماءِ
خرقاءُ يلعبُ بالعقول حبابُها ... كتلعُّبِ الأفعالِ بالأسْماءِ
وضعيفةٌ فإذا أصابتْ فرصة ... قَتَلَتْ، كذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ
جَهْمِيَّةُ[24] الأوصَافِ إلاَّ أنَّهُمْ ... قد لقَّبوها جَوهرَ الأشياءِ
وكأنَّ بهجتَها وبهجةَ كأسِها ... نَارٌ ونُورٌ قُيِّدَا بِوِعَاءِ
أَو دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ ... حَبلاً عَلى يَاقوتةٍ حَمْرَاءِ
ومَسَافَةِ كَمَسَافَةِ الهَجْرِ ارْتَقَى ... في صَدْرِ باقي الحبِّ والبُرحاءِ
بيدٌ لنسْلِ العيْدِ في أُملودِها ... ما ارتيدَ من عيدٍ ومِنْ عَدواءِ[25]
مزَّقتُ ثَوْبَ عكوبِها بركوبِها ... والنَّارُ تَنْبُعُ مِنْ حَصَى المَعْزَاءِ[26]

[19] الأحداج: هوادج النساء في الركب.

[20] العفاة: الضيوف، أو طلاب الفضل والرزق.

[21] قدك اتئب: أي حسبك فقد غاليت، والسجراء الأصفياء والأخلاء.

[22] الدجنة: ظلال الغيمة قبل المطر، والوطفاء: الغيمة المسترخية الطويلة

[23] الأقذاء ما يقع في العين والماء والشراب من شوائب.

[24] الجهمية: إحدى الفرق الكلامية الإسلامية تنسب إلى جهم بن صفوان السمرقندي، تقول بالجبرية ونفي الصفات عن الخالق، وبأن الإيمان عَقْد في القلب وكانت أفكارهم ممهدة للفكر المعتزلي.

[25] الأملود: الناعم. والعدواء المكان غير المستوي .

[26] عكوبها، غبارها

www.alkottob.com

السماء المحجبة

يـا أيُّـهـا المَلَـكُ الـنّـائـي بـرُؤْيـتـه ... وجـودُه لِـمُـرجِّـي جـوده كـثـبُ
ليسَ الحجابُ بِمُقْضٍ عنكَ لي أملاً ... إن الـسـمـاءَ تُـرَجَّـى حينَ تحتَـجبُ
مـا دُونَ بـابِـكَ لي بـابٌ أُلـوذُ بـهِ ... ولا وراءَكَ لي مـشـوىً ومـطَّـلـبُ

فكأنَّها وكأنَّهُمْ أحلامُ

دمـنٌ ألمَّ بـهـا فَـقُـلْـتُ سَـلامُ ... كَـمْ حَـلَّ عـقْـدَةَ صَـبْـرِهِ الإلْـمَـامُ
نُحِرَتْ رِكَابُ القَوْمِ حتَّى يَغْبُرُوا ... رَجْلَى، لـقَـدْ عَـنُـفُـوا عـليَّ ولامُـوا
عَـشِـقُـوا، ولا رُزِقُـوا، أيُعذَلُ عاشقٌ ... رُزِقتْ هـواهُ مـعـالمٌ وخـيـامُ؟
وقـفـوا عـليَّ الـلـومَ حـتـى خـيَّـلُـوا ... أنَّ الـوُقُـوفَ عـلـى الـديَـارِ حَـرَامُ!
مـا مَـرَّ يَـوْمٌ واحِـدٌ إلاَّ وفي ... أحشَـائِـه لِـمَـحـلَّـتَـيْـكِ غَـمَـامُ
حتى تعمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبا ... مِـنْ نَـوْرِه وتَـأزَّرَ الأهْـضَـامُ[27]
ولـقـدْ أراكِ، فَـهَـلْ أراكِ بِـغِـبـطـة ... والـعَـيْـشُ غَـضٌّ والـزَّمـانُ غُـلامُ؟
أعـوَامَ وَصْـلٍ كـانَ يُـنْـسِـي طُـولَـهـا ... ذِكْـرُ الـنَّـوَى، فـكـأنَّـهـا أيَّـامُ
ثُـمَّ انْـبَـرَتْ أيَّـامُ هَـجْـرٍ أردَفَـتْ ... بِـجَـوىً أسـىً، فـكـأنَّـهـا أعْـوَامُ
ثـمَّ انـقـضتْ تـلك السنونُ وأهلُها ... فـكـأنَّـهـا وكـأنَّـهُـمْ أحـلامُ
لا تَـنشِـجَـنَّ لَـهـا فـإنَّ بـكَـاءَهـا ... ضَـحِـكٌ، وإنَّ بُـكَـاءَكَ اسـتِـغْـرَامُ
هـنَّ الحَمامُ فإن كسرتَ عـيـافـة ... مِـنْ حـائِـهـنَّ فـإنَّـهـنَّ حِـمـامُ

صور البعاد

سَـقـى عَـهـدَ الحِـمـى سَـبَـلُ الـعِـهـاد[28] ... وَرَوَّضَ حـاضِـرٌ مِـنـهُ وَبَـادِ
نَـزَحـتُ بِـهِ رَكِـيَّ الـعَـيـنِ لَـمّـا ... رَأَيتُ الـدَمـعَ مِـن خَـيرِ الـعَـتَـادِ
فَـيـا حُـسـنَ الـرُسـومِ وَمـا تَـمَـشّـى ... إلَـيـهـا الـدَهـرُ في صُـوَرِ الـبُـعـادِ
وإذْ طَـيْـرُ الحَوادث في رُبـاهـا ... سَـواكِـنُ، وَهْـيَ غَـنَّـاءُ المَرَادِ
وأعينُ ربـربٍ كـحـلـتْ بسـحـرٍ ... وأجسـادٌ تُـضَـمَّـخُ بـالجَسـاد[29]
وإنْ يكُ مِـنْ بَـنـي أدَدٍ جـنـاحـي ... فـإنَّ أثـيثَ ريشـي مِـن إيَـادِ
غَـدَوْتُ بِـهِـمْ أَمَـدَّ ذَوِيَّ ظِـلاً ... وأكثرَ مِـنْ ورائِـي مـاءَ وادِ
مَـتَـى تَـحْـلُـلْ بِـه تَـحْـلُـلْ جَـنَـاباً ... رَضِـيـعـاً لِـلسَّـوَارِي والـغَـوادي
وَمـا اشـتَـبَـهَـت طَـريـقُ المَجدِ إلا ... هَـداكَ لِـقِـبـلَـةِ المَعروفِ هـادِ
فـمـا سَـافَـرْتُ في الآفَـاقِ إلاّ ... وَمِـنْ جَـدْوَاكَ رَاحِـلَـتـي وَزَادي
مـقـيـمِ الـظَّـنِّ عِـنـدَكَ والأمـانـي ... وَإنْ قَـلِـقَـتْ رِكَـابِـي في الـبِـلادِ
مَـعـادُ الـبَـعـثِ مَـعـروفٌ وَلَـكِـن ... نَـدى كَـفَّـيكَ في الـدُنـيـا مَـعـادي

ما لا يحتجب

أطَاعَها الحُسْنُ وانحَطَّ الشَّبَابُ على ... فـؤادها وجـرتْ في روحـها الـنِّـسَـبُ
لَـمْ أنْسَـها وصروفُ البين تظلمُها ... ولا مُـعَـوَّلَ إلاَّ الـوَاكِـفُ السَّـرِبُ
أدنَتْ نِقاباً على الخدَّيْن وانتَسَبَتْ ... لِـلْـنَّـاظِـريـنَ بـقَـدٍّ لَـيْـسَ يَـنْـتَـقِـبُ
ولـو تَـبَـسَّـمُ عُـجْـنـا الطرْفَ في بردٍ ... وفي أقَـاحٍ سَـقَـتْـهـا الخَـمْـرُ والضَّـرَبُ
كـانتْ لـنـا مَـلـعـبـاً نـلـهـو بـزُخـرفـه ... وَقَـدْ يُـنـفَّـسُ عـن جِـدِّ الفتى اللعبُ
وعـاذلٍ هـاجَ لي بـالـلـوم مـأربـةً ... باتتْ عليها همومُ النّفس تصطخِبُ
لمّا أطـالَ ارتجالَ الـعـذلِ قـلتُ لـهُ: ... الحَزْمُ يُثْني خُطُوبَ الدَّهْرِ لا الخُطَبُ

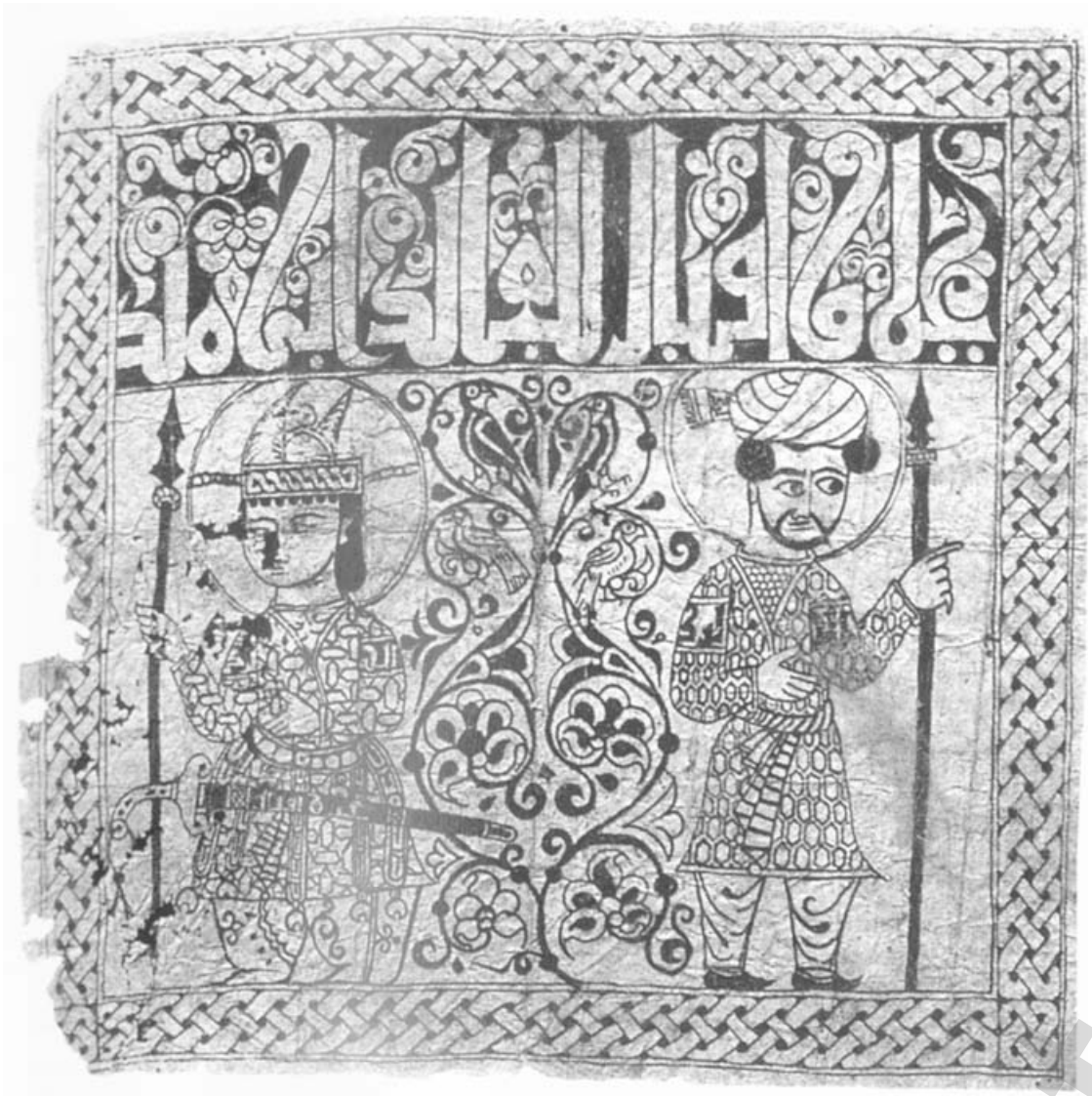

متحاربون – مصر الفسطاط، القرن الحادي عشر – المتحف الإسلامي، القاهرة.

[27] الأهضام: الأراضي المنخفضة.

[28] سَبَل العهاد: مطر الربيع في أوله

[29] الربرب: قطيع البقر الوحشي، والجساد: الزعفران.

www.alkottob.com

عملة عباسية بخط كوفي – المتحف الوطني، ستوكهولم.

من يخبرني عني؟

أفيكمْ فتى حيٍّ فيُخْبِرُني عنّي
بما شَرِبَتْ مشْروبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْني

غَدَتْ وهيَ أولى مَنْ فؤادي بعزمتي
ورُحتُ بما في الدنِّ أولى من الدنِّ

لقدْ تَرَكَتْني كأسُها وحَقيقتي
محالٌ وحقٌّ من فعالِيَ كالظنِّ

هي اخْتَدعتْني والغمامُ ولمْ أكُنْ
بأوَّلَ مَنْ أهدَى التَّغافُلَ للدَّجْنِ

إذا اشتَعَلَتْ في الطّاسِ والكاسِ نارُها
صليْتُ بِهَا منْ راحَتي ناعمٍ لَدْنِ

قرينُ الصبا في وجنتيه ملاحة
صليْتُ بِهَا منْ راحَتي ناعمٍ لَدْنِ

طإذا نَحْنُ أومَأنا إليه أدارَها
سُلافاً كماءِ الجَفْنِ[30] وَهْيَ مِنَ الجَفْنِ

تُقلِّبُ روحَ المرءِ في كلِّ وجهة
وتَدْخُلُ مِنْهُ حيثُ شاءَتْ بلا إذنِ

ومُسْمِعُنا طفلُ الأنامل عندَه
لنا كلُّ نوعٍ من قِرى العَينِ والأذنِ

لنا وَتَرٌ منهُ إذا ما استَحثَّه
فَصيحٌ ولَحْنٌ في أمانٍ منَ اللَّحْنِ

وفي روضة نبتيَّةٍ صَبَغَتْ لها
جَداوِلَها أنْوارُها صِبْغَةَ الدُّهْنِ

ظَلِلْنَا بها في جَنَّةٍ غَابَ نَحْسُها
تُذكِّرُنا جنَّاتُها جَنَّةَ العدْنِ

ما يكتبه الليل بغير لونه

أرى أَلِفاتٍ قدْ كُتبْن على راسي
بأقلامِ شَيبٍ في صَحائف أنْقاسي[31]

فإن تسأليني من يَخُطُّ كتابَها
فكَفُّ الليالي تستمدُّ بأنْفاسي

أمطار القلم

لك القَلمُ الأعْلَى الذي بِشَبَاتِه[32]
تُصَابُ مِنَ الأمْرِ الكُلَى والمَفَاصِلُ

لَهُ الخَلَواتُ اللاّءِ لولا نجيُّها
لما احتفَلَتْ للمُلْك تلك المحافِلُ

لُعابُ الأفاعي القَاتِلات لُعابُهُ
وأرْيُ الْجَنَى اشتَارَتْهُ أَيْد عواسِلُ[33]

لهُ ريقَة طَلٌّ ولكنَّ وقْعَها
بآثاره في الشَّرْقِ والغَرْبِ وَابِلُ

فصيحٌ إذَا استنْطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ
وأعْجَمُ إنْ خَاطَبْتَهُ وهْوَ راجِلُ

إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ
عليه شِعابُ الفِكْرِ وهْيَ حوافِلُ

أطاعَتْهُ أطرافُ القَنَا وتَقَوَّضَتْ
لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافِلُ

إذَا استَغْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيَّ وأقبلتْ
أعاليه في القِرطَاسِ وهْيَ أسافِلُ

وقدْ رَفَدَتْه الْخَنْصران وشددَّتْ
ثَلاثَ نَواحيه الثَّلاثِ الأَنَامِلُ

رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرهف
ضنى وسميناً خطبهُ وهو ناحلُ

قبراثا..!

سَيَّافَة اللَّحَظَاتِ يَغْدُو طَرْفُها
بالسحْرِ في عقَدِ النُّهَى نَفَّاثَا

زالتْ بعينيك الْحُمولُ كأنَّها
نَخْلٌ مواقرُ منْ نَخيلِ جُواثا[34]

يَوْمَ الثُّلاثَا لَنْ أَزَالَ لبَيْنِهِمْ
كَدِرَ الفُؤَادِ لكُلِّ يَومِ ثُلاثَا

والكَامخيَّة لمْ تَكُنْ لي مَنْزِلاً
فمقَابِرُ اللَّذَّات منْ قَبْرَاثَا[35]

لمْ أَتِهَا من أيِّ وجْهٍ جِئْتُها
إلاَّ حسِبْتُ بيُوتَهَا أَجْدَاثَا[36]

تَصدا بها الأَفهامُ بَعدَ صِقالِها
وَتَرُدُّ ذُكرانَ العُقول إناثا

أرْضٌ خَلَعْتُ اللهوَ خَلعِي خَاتَمي
فِيْهَا وطلَّقْتُ السُّرورَ ثَلاثا

[30] الجَفْن: الكَرم " العنب" والعرب تسمي الخمر: ماء الجَفن، والسحاب جَفْن الماء.

[31] أنقاس: جمع نقس وهو المداد الذي يكتب به.

[32] شباته : طرفه أو حده

[33] الأري: العسل، واشتارته أي جنته

[34] مواقر: ذات حمل كثير، وجواثا: قرية في البحرين تشتهر بالنخيل

[35] الكامخية موضع بالشام وقبراثا: قرى من نواحي الموصل

[36] الأجداث: القبور

www.alkottob.com

جيران طسم

أقَـشِـيبَ رَبْـعِـهِـم أَرَاكَ دَرِيسَـا ... وَقُرَى ضُـيوفِكَ لَـوعةً ورسـيسا[37]
ولئِنْ حُبِسْتَ على البِلى لَقَدْ اغتَدَى ... دمـعي عـلـيكَ إلى الممـاتِ حبيسا
فـكـأنَّ طَـسـمـاً قَـبْـلُ كـانُوا جيرَةً ... بِـكَ والـعَـمـالِـيقَ الأُلى وجَـدِيسَا[38]
وأرى رُبـوعَكَ مُوْحِـشـاتٍ بَـعْـدَهَا ... قَـدْ كـنتَ مـأْلـوفَ المْحَـلِّ أنِـيسَـا
أَتُـرَى الـفِـراقَ يَـظُـنُّ أنِّـيْ غَـافِـلٌ ... عَـنْـه وقـد لَمَستْ يَـدَاهُ لَـمِـيْـسَـا
رَودٌ أصَـابَـتْـهَـا الـنَّـوى فِـيْ خُـرَّدٍ ... كـانتْ بـدورَ دُجُـنَّـةٍ وشُـمُـوسَـا[39]
بِـيضٌ تَـدُورُ عُـيُـونُـهُـنَّ إلى الصِـبَـا ... فـكـأنَّـهُـنَّ بِـهَـا يُـدِرْنَ كُـؤُوسـا

شاعر وقف الكلام ببابه.

همُ الفتى في الأرضِ أغصانُ الغنى ... غُـرِسَـتْ ولـيسَـتْ كـلَّ عـامٍ تُـورِقُ
أخَـرِسْـتَ إذْ عـايَـنْـتَـنـي حـتَّـى إذا ... ما غِبتَ عنْ بَصَري ظَللتَ تشدَّقُ؟
وكـذا الـلئـيمُ يـقـولُ إنْ نأتِ النوى ... بـعَـدوِّه ويَـحُـولُ سـاعَـةَ يُـصْـدَقِ
قَـوْمٌ تَـراهُـمْ حينَ يَـطْـرُقُ مَـعْـشَـرٌ ... يَـسْـمـونَ لـلـخطبِ الجليلِ فيطرقُ
قـومٌ إذا اسـودَّ الـزمـانُ تـوضَّـحـوا ... فـيـه فـغُـودِرَ وَهـوَ مِـنْـهُـمْ أَبـلَـقُ
مـا أنشـئتْ لـلـمَـكْـرُمـاتِ سَـحَـابـة ... فـيـه فـغُـودِرَ وَهـوَ مِـنْـهُـمْ أَبـلَـقُ
طأنظرْ فحيثُ ترى السيوفَ لوامعاً ... أَبَـداً فَـفَـوْقَ رُؤُوسِـهِـم تَـتَـأَلَّـقُ
شُـوسٌ إذا خَـفـقَـتْ عـقـابُ لـوائِـهِـمْ ... ظـلَّـتْ قـلـوبُ الموتِ مِـنـهـمْ تَـخْـفِـقُ
بُـلْـهٌ إذا لَـبِـسُـوا الحَـديدَ حَـسِـبـتَـهُـم ... لم يـحسـبـوا أنَّ المنـيـة تـخـلـقُ[40]
أَفَـعِـشْـتَ حـتَّـى عِـبْـتَـهِـم قُـلْ لِي مَـتى ... فَـرزنتَ سُـرْعَـة مـا أرَى يـا بَـيـدَقُ؟
جـدعـاً لأنـفِ طـيءٍ إنْ فُـتَّـهـا ... وَلَـو انَّ رُوحَـك بـالسـمـاكَ مُـعَـلَّـقُ
إني أراكَ حـلـمـتَ أنَّـكَ سـالـمٌ ... مِـنْ بَـطْـشِـهِـمْ ما كـلُّ رُؤيا تَـصْـدُقُ
إيَّـاكَ يَـعـنـي الـقـائـلـونَ بـقَـوْلِـهِـم ... إنَّ الشـقـيَّ بـكـلِّ حـبـلٍ يـخـنـقُ
سِـر أَيـنَ شِـئْـتَ مِـنَ الـبِـلادِ فإنَّ لِي ... سُـوراً عـلـيكَ من الـرِّجـالِ يـخـنـدقُ
وقَـصـائـداً تَـسْـري إلـيكَ كـأنَّـهـا ... سُـوراً عـلـيكَ من الـرِّجـالِ يـخـنـدقُ
طمـن مـنـهـضـاتكَ مـقـعـداتكَ خـائـفـاً ... مسـتـوهـلاً حـتـى كـأنَّـكَ تـطـلـقُ
مِـنْ شـاعِـرٍ وقَـفَ الـكَـلامُ بِـبـابِـه ... واكْـتَـنَّ في كَـنَـفـي ذَرَاهُ المَنْـطِـقُ[41]
قـدْ ثـقـفـتْ مِـنـهُ الشـآمُ وسـهَّـلتْ ... مِـنـه الحجـازُ ورقَّـقَـتْـهُ المشـرِقُ

[37] القشيب: الجديد، والدريس: الدارس والبالي ، والرسيس، الثابت من الأثر وبقيته.

[38] طسم وجديس: من قبائل العرب البائدة، تحف بتاريخهما الأساطير.

[39] الرود: هنا المرأة الجميلة التي تكثر الارتياد إلى البيوت المجاورة، والخرد، البكر التي تميل إلى السكوت والحياء.

[40] الشوس، جمع أشوس، وهو من ينظر بمؤخرة العين ويرفع رأسه غضباً، والبله، الغفلة عن الشر، وعدم الاهتمام له: جاء في الحديث "أكثر أهل الجنة البله" أي لعدم اهتمامهم بالدنيا.

[41] اكتن: اختزن، والكنف الرعاية، وكنف الطائر: جانحيه.

كتاب «الصور» للصوفي، كوكبة برشاويش على ما يرى الكرة – متحف طوب كابو، استنبول.

www.alkottob.com

« مختار الحكم ومحاسن الكلم» – متحف طوب كابو، استنبول.

ماء الوجه.

أنسى ابتسامك والألوانُ كاسفة ... تَبَسُّمَ الصُّبْحِ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
كذا أخوكَ الندى لو أنَّهُ بشرٌ ... لَمْ يُلفَ طرفة عينٍ غير مبتسمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهي في صَحِيفَتِه ... ردَّ الصقال بماء الصارمِ الخذمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ أصدَقُهُ ... حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دمي

حاشية الطبيعة.

رقتْ حواشي الدهرُ فهْيَ تمرمر ... وغَدَا الثَّرَى في حَلْيِه يَتكسَّرُ
نَزلَتْ مُقَدمَة المَصيف حَميدة ... ويدُ الشتاء جديدةٌ لا تكفرُ
لولا الذي غرسَ الشتاءُ بكفِّه ... لاَقَى المَصيفُ هَشَائماً لا تُثْمِرُ
مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ منه وبَعْدَه ... صَحْوٌ يَكادُ مِنَ الغَضَارة يُمْطِرُ
غَيْثَان فالأَنْوَاءُ غَيْثٌ ظاهرٌ ... لكَ وجههُ والصحوُ غيثٌ مُضْمَرٌ
وندى إذا ادَّهَنَتْ به لِممُ الثرى ... خِلْتَ السحابَ أتاهُ وهو مُعَذِّرُ
أربيعُنا في تسعَ عشرةَ حُجَّةً ... حَقّاً لَهِنَّكَ[42] لَلرَّبيعُ الأَزْهَرُ
ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بَهجة ... لو أنَّ حسنَ الروضِ كانَ يعمرُ
أولا ترى الأشياءَ إنْ هيَ غيرتْ ... سَمُجتْ وحُسْنُ الأرْضِ حينَ تُغَيَّرُ
يا صاحِبَيَّ تَقصَّيا نَظَرَيْكُمَا ... تَرَيا وُجُوهَ الأرضِ كيفَ تَصَوَّرُ
تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قدْ شابهُ ... زهرُ الرُّبا فكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ
دُنْيا معاشٌ للوَرى حتَّى إذا ... جليَ الرَّبيعُ فإنَّما هيَ مَنظَرُ
أضحتْ تَصُوغُ بُطُونُها لظُهُورِها ... نَوْراً تكادُ له القُلوبُ تُنَوَّرُ
من كل زَاهِرَة تَرقْرَقُ بالنَّدَى ... فكأنَّها عَينٌ عَليه تَحَدَّرُ
تَبْدُو وَيحجُبُها الجَميمُ[43] كأنَّها ... عَذْرَاءُ تَبْدُو تارَة وتَخَفَّرُ
حتَّى غَدَتْ وَهَدَاتُها ونِجَادُها ... فئتيْنِ في خلَعِ الرَّبيعِ تَبَخْتَرُ[44]
مُصْفَرَّة مُحْمَرَّة فكأنَّها ... عُصَبٌ تَيَمَّنُ في الوَغَى وتَمَضَّرُ
منْ فاقعٍ غضَّ النباتِ كأنهُ ... دُرٌّ يُشَقَّقُ قَبْلُ ثُمَّ يُزَعْفَرُ
أو ساطعٍ في حمرة فكأنَّ ما ... يدنو إليه منَ الهواءِ مُعَصْفَرُ
صُنْعُ الذي لَولا بَدائعُ صُنْعِهِ ... ما عَادَ أصْفَرَ، بَعْدَ إذْ هُوَ أَخْضَرُ

محرقة الخرافة!

أَيْنَ الرِوايَةُ؟ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ؟
لو بيَّنتْ قطّ أمراً قَبل مَوقعه ... لم تُخْفِ ما حلَّ بالأوثانِ والصلُبِ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَو قَبل ذَلِكَ قَدْ ... شابتْ نواصي اللَّيالي وهيَ لَمْ تشبِ
حَتَّى إذَا مَخَّضَ اللَّهُ السنين لَهَا ... مَخْضَ البخِيلَة كانَتْ زُبْدَة الحقَبِ
أتتهُمُ الكُربة السَّوداءُ سادرة ... منها وكان اسمها فرَّاجة الكُربِ
جرى لها الفألُ بَرحاً يومَ أنقرة ... إذْ غودرتْ وحشة الساحاتِ والرِّحبِ
لَمَّا رأَتْ أُخْتَها بالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى من الجَرَبِ
ضوءٌ منَ النَّارِ والظَّلماءُ عاكفة ... وظُلمةٌ منَ دُخَانٍ في ضُحىً شَحِبِ
فالشَّمْسُ طَالِعَة مِنْ ذَا وقدْ أَفَلَتْ ... والشَّمسُ واجبة منْ ذا ولمْ تجبِ
تصرَّحَ الدَّهرُ تصريحَ الغمامِ لها ... عنْ يومِ هيجاءَ منها طاهرِ جُنُبِ
لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ يومَ ذَاكَ على ... بانٍ بأهلٍ وَلَم تَغْرُبْ على عَزَبِ
يا رُبَّ حوباءَ[45] لَمَّا اجتثَّ دابرهم ... طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ
ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حيَّ الرِّضا منْ رداهمْ ميِّتَ الغضبِ
والحَرْبُ قائمَة في مأْزِقٍ لَجِجٍ ... تجْثُو القيامُ بهِ صُغراً على الرُّكبِ
كمْ نيلَ تحتَ سناها من سنا قمرٍ ... وتَحْتَ عارِضِها منْ عَارِضٍ شَنِبِ[46]
كمْ كان في قطعِ أسباب الرِّقاب بها ... إلى المخدَّرة العذراءِ منْ سببِ
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهنْدِي مُصْلَتَة ... تهتزُّ منْ قُضُبٍ تهتزُّ في كُثُبِ
بيضٌ، إذا انتُضيتْ من حُجبها، رجعت ... أحقُّ بالبيضِ أتراباً منَ الحُجُبِ

[42] لهنك : كلمة للتوكيد بمعنى لإنَّك.

[43] الجميم: نبات المرعى قبل أن يصبح حشيشاً

[44] الوهد: ما انحدر من الأرض «الوديان» والنجاد ما ارتفع منها «الكثبان»

[45] الحوباء: النفس والروح

[46] الشنب: حدة الأسنان

www.alkottob.com

بلاغة الطبيعة

الغَيمُ مِن بَينِ مَغبوقٍ وَمُصطَبَحِ ... مِن ريقِ مُكتَفِلاتٍ بِالثَرى دُلُحِ[47]
دُهمٍ إِذا ضَحِكَتْ في رَوضَةٍ طَفِقَت ... عُيونُ نُوّارِها تَبكي مِنَ الفَرَحِ

حفلة الأحلام

استَزارَتهُ فِكرَتي في المَنامِ ... فَأَتاني في خُفيَةٍ وَاكتِتامِ
اللَيالي أَحفى بِقَلبي إِذا ما ... جَرَحَتهُ النَوى مِنَ الأَيّامِ
يا لَها لَذَّةً تَنَزَّهَتِ الأَر ... واحُ فيها سِرّاً مِنَ الأَجسامِ
مَجلِسٌ لَم يَكُن لَنا فيهِ عَيبٌ ... غَيرَ أَنّا في دَعوَةِ الأَحلامِ

رجل الأيام السود..

كُفّي وَغاكِ فَإِنَّني لَكِ قالي ... لَيسَت هَوادي عَزمَتي بِتَوالي
أَنا مَنْ عَرفت فإنْ عَرتْك جَهَالةٌ ... فَأنا المُقيمُ قِيامَةَ العِذَّالِ
عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مسودَّةً ... حتَّى تَوهَّمَ أَنَّهنَّ لَيالِ

ذو الشعر الخلاسي.

أَبدَت أَسىً أَنْ رَأَتني مُخلِسَ القُصَبِ ... وَآلَ ما كانَ مِن عُجْبٍ إِلى عَجَبِ
ستٌّ وَعِشرونَ تَدعوني فَأَتبَعُها ... إِلى المَشيبِ وَلَم تَظلِم وَلَم تَحُبِ[48]
يَومي مِنَ الدَهرِ مِثلُ الدَهرِ تَجرِبَةً ... عَزماً وَحَزماً وَساعي مِنهُ كَالحِقَبِ
فَأَصغِري أَنَّ شَيباً لاحَ بي حَدَثاً ... وَأَكبِري أَنَّني في المَهدِ لَم أَشِبِ
وَلا يُؤَرِّقُكِ إِيماضُ القَتيرِ[49] بِهِ ... فَإِنَّ ذاكَ ابتِسامُ الرَأيِ وَالأَدَبِ
رَأَت تَشَنُّنَهُ فَاهتاجَ هائِجُها ... وَقالَ لاعِجُها لِلعَبرَةِ انسَكِبي
لا تُنكِري مِنهُ تَخديداً تَجَلَّلَهُ ... فَالسَيفُ لا يُزدَرى إِن كانَ ذا شُطَبِ
لا يَطرُدُ الهَمَّ إِلاّ الهَمُّ مِن رَجُلٍ ... مُقَلقِلٍ لِبَناتِ القَفرَةِ النُعُبِ[50]
ماضٍ إِذا الكُرَبُ التَفَّتْ رَأَيتَ لَهُ ... بَوخَدهِنَّ اِستِطالاتٍ عَلى النُوَبِ
بَلَوتُ مِنكَ وَأَيّامي مُذَمَّمَةٌ ... مَوَدَّةً وُجِدَتْ أَحلى مِنَ النَشَبِ
مِن غَيرِ ما سَبَبٍ ماضٍ كَفى سَبَبا ... لِلحُرِّ أَن يَعتَفي حُرّاً بِلا سَبَبِ

النوم مشرد، فاغترب تجدد

سرتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدٍ ... وعَادَ قَتاداً[51] عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ
وَأَنْقَذَها مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ، أَنَّه ... صُدودُ فِراقٍ لا صُدُودُ تَعَمُّدِ
فأَجْرَى لَها الإِشْفَاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً ... مِنَ الدَّمِ يَجْرِيْ فوقَ خدٍّ مورَّدِ
هيَ البدرُ يُغْنِيْها تَوَدُّدُ وَجْهِهَا ... إِلى كُلِّ مَنْ لاقَتْ وإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ
ولكنَّني لمْ أَحْوِ وَفْراً مُجَمَّعاً ... فَفُزْتُ بِهِ إِلاَّ بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولمْ تُعْطِني الأَيَّامُ نَوْماً مُسكِّنا ... أَلَذُّ بِهِ إِلاَّ بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ
وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخْلِقُ ... لديباجتيهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإِنِّي رأَيْتُ الشَّمسَ زِيدتْ مَحَبَّةً ... إِلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عليهِمْ بِسرْمَدِ

الكوفة- دمشق...

نيطَت قَلائِدُ عَزمِهِ بِمُحَيِّرٍ ... مُتَكَوِّفٍ مُتَدَمشِقٍ مُتَبَغدِدِ
حَتّى لَقَد ظَنَّ الغُواةُ وَباطِلٌ ... أَن قَد تَجَسَّمَ فِيَّ روحُ السَيِّدِ[52]

فضل الحاسد على الْمَحْسود

وإِذَا أَرادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ ... طُويتْ أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ
لَوْلاَ اشتِعَالُ النَّارِ، فيما جَاوَرَت ... ما كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لولاَ التخوفُ للعواقبِ لمْ تزلْ ... للْحَاسدِ النُّعْمى على المَحْسُودِ

[47] مكتفلات: متغطيات، والدلح: التثاقل في المشي

[48] لم تحب: لم تأثم، والحوب الإثم.

[49] القتير: الشيب في أول ظهوره.

[50] بنات القفر: الوحوش وكل ما يسكن القفار، لكن لفظة النعب (تمد أعناقها أثناء السير) تحيل إلى الإبل خاصة، والمقصود إن هم الرجل، يزول بالهمة في إقلاق الإبل بالسير الدائم والترحال.

[51] القتاد: شجر صحراوي له شوك.

[52] المقصود بالسيد هنا: السيد الحميري الشاعر العباسي المعروف.

بيطري يضع الدواء لفرس بدت عليه أعراض الحمى.

فرس معتلة يتولى حارسها علاجها.

فارس يروض جواده.

حارسان يتعاونان لمساعدة فرس على ولادة عسيرة.

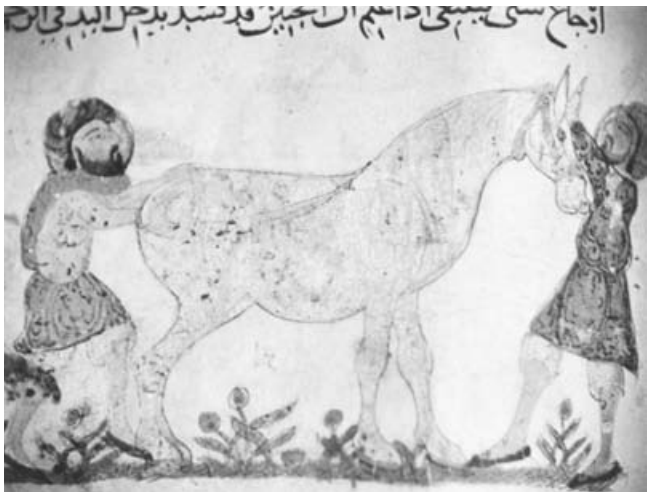

كتاب «البيطرة» – 1209 م – دار الكتب المصرية.

www.alkottob.com

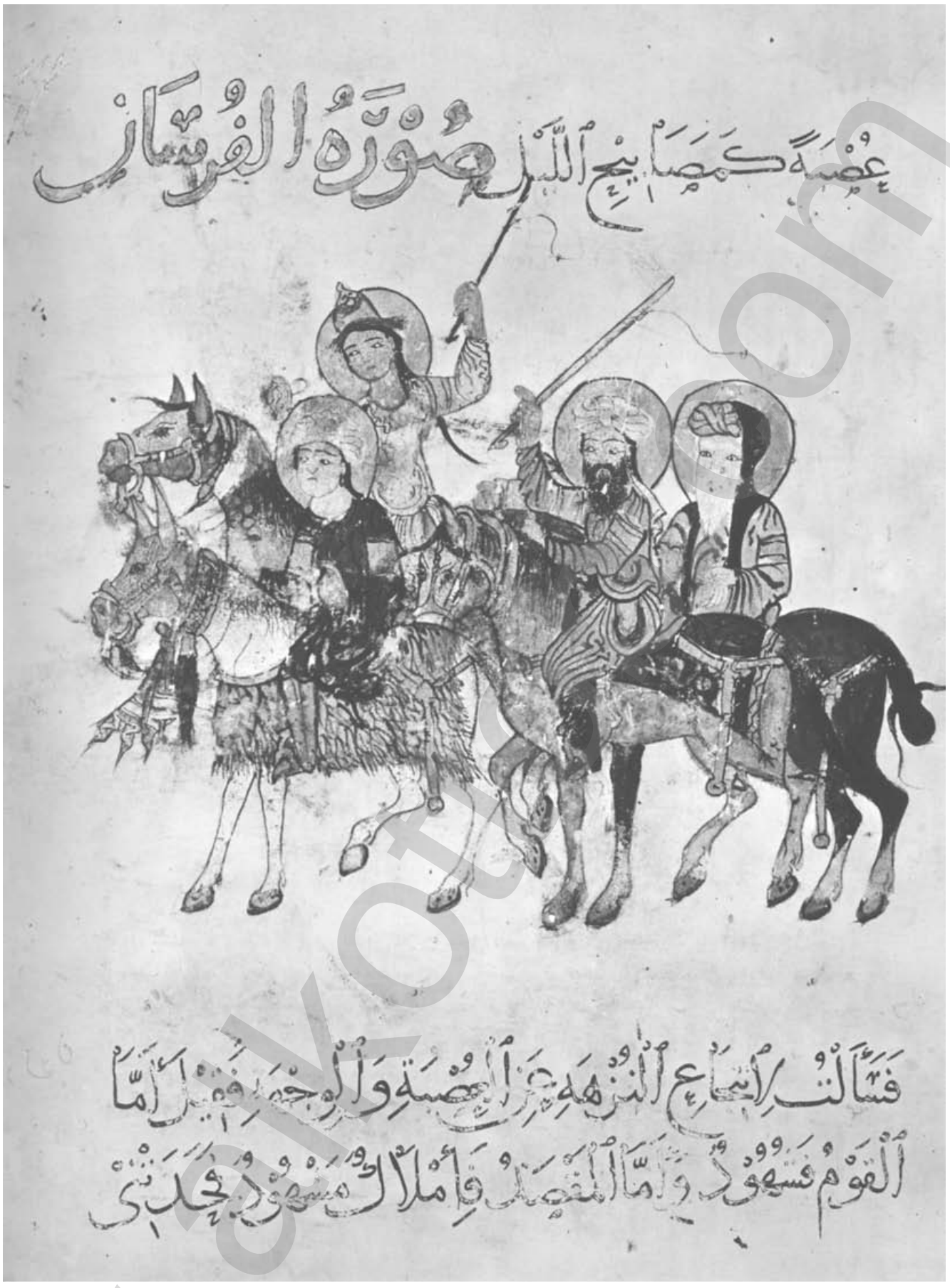

«مقامات الحريري» 1222م رقم 3929 ، صورة الفرسان في طريقهم إلى دار أفراح – دار الكتب القومية الفرنسية.

يحن إلى موته

اليَوْمَ أُدرِجَ زَيْدُ الخَيْلِ في كَفَنٍ ... وانحَلَّ مَعْقُودُ دَمْعِ الأعيُنِ الهُتُنِ[53]

فالمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنَّ أعذَبَه ... يَفْنَى ويَمتَدُّ عُمرُ الآجِنِ الأَسِنِ

رُزْءٌ على طَيِّءٍ ألقَى كَلاكِلَه ... لا بَلْ على أُدَدٍ لا بَلْ على اليَمَنِ

إلا تكنْ صدرتْ عن منظرٍ حسنٍ ... حَرْبٌ، فقد صَدَرَتْ عَنْ مَسْمَعٍ حَسَنِ

نِعْمَ الفَتَى غَيْرُ نِكْسٍ في الجِلادِ ولا ... لدنِ الفؤادِ لدى وقعِ القنا اللدنِ

حَنَّ إلى المَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جاهِلُه ... بأنَّه حنَّ مشتاقاً إلى وطنِ

ولَّى الحماة وأضحى عندَ سورتِه ... مع الحميةِ كالمشدودِ في قرنِ

رأى المنايا حبالاتِ النفوسِ فلمْ ... يَسكُنْ سِوَى الميتَةِ العُلْيَا إلى سَكَنِ

لَوْ لم يَمُتْ بينَ أطرافِ الرماحِ إذاً ... لَمَاتَ إذْ لَم يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحزَنِ

[53] الهتن: متتابعات الدمع

www.alkottob.com

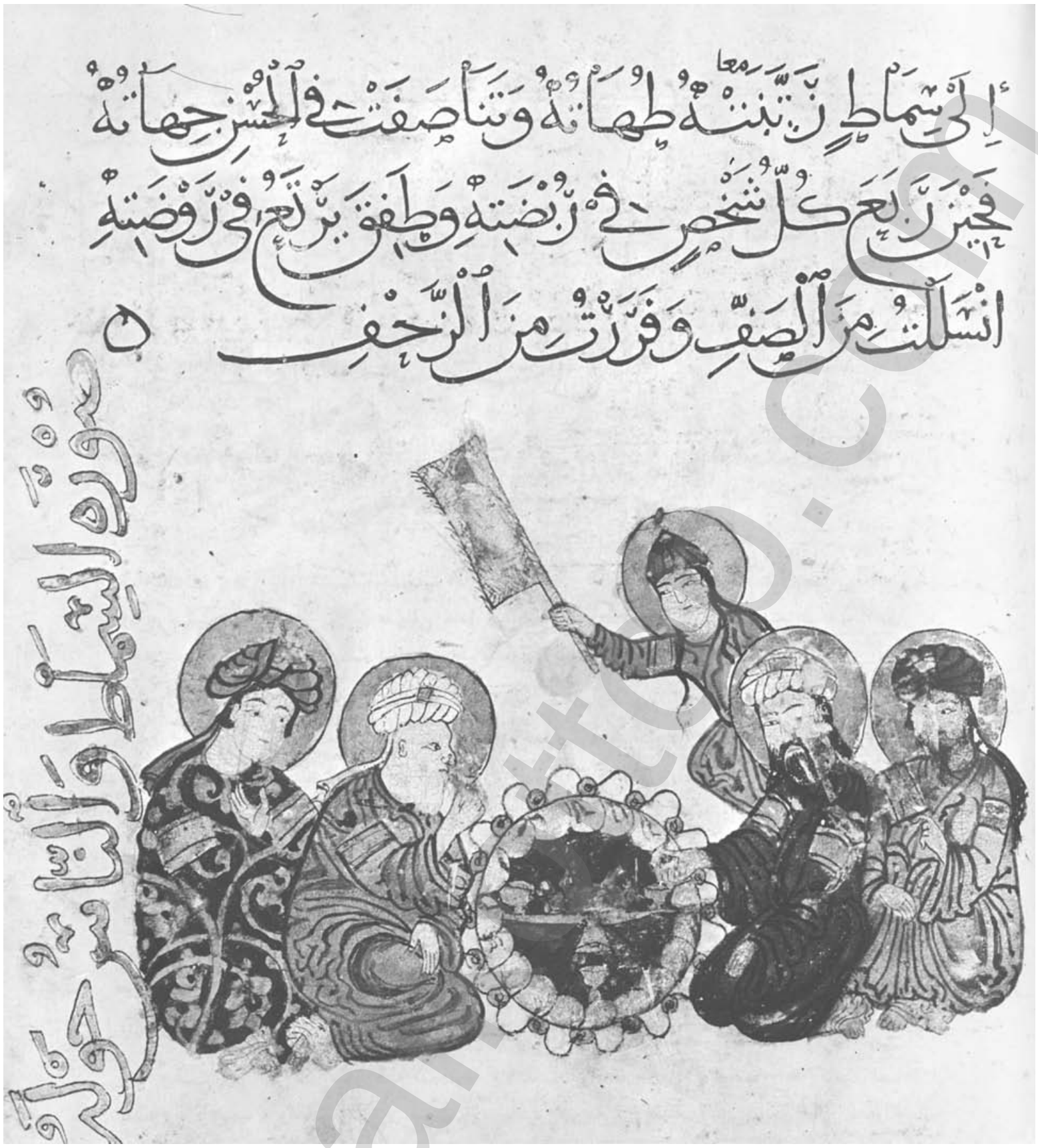

«مقامات الحريري» 1222م رقم 3929 ، صورة السماط والناس من حوله في دار أفراح الشحاذين – دار الكتب القومية الفرنسية.

الحجرة المقفلة

مـالي أرى الحُجْرةَ الـفَيْحاءَ مُـقْـفَـلَـةً عنّي وقد طالما استفتَحْتُ مُقْفَلَهَا؟
كـأنَّـهـا جـنَّـةُ الـفِـردْوسِ مُـعْـرِضَـةً ولـيسَ لي عَـمَـلٌ زَاكٍ فـأدْخـلَـهـا

www.alkottob.com

صواحب يوسف

أَهُـنَّ عَـوادي يـوسُـفٍ وَصَـواحِـبُـهْ ... فَـعَـزماً فَقدماً أَدرَكَ السُؤلَ طالِبُـهْ
إِذا المَرءُ لَـم يَستَخلِصِ الحَزمُ نَفسَهُ ... فَـذِروَتُـهُ لِـلـحـادثـاتِ وَغـارِبُـهْ
أَعـاذِلَـتي ما أَخشَنَ اللَيلَ مَركَباً ... وَأَخشَـنُ مِـنـهُ في المُلِـمّاتِ راكِـبُـهْ
ذَريـنـي وَأَهـوالَ الـزَمـانِ أُفـانِـهـا ... فَـأَهـوالُـهُ الـعُـظمى تَليـها رَغائِبُـهْ
أَلَـم تَعلَمي أَنَّ الزِماعَ عَلى السُرى ... أَخو النُجحِ عِندَ النائِباتِ وَصاحِبُـهْ
دَعـيـنـي عَـلى أَخلاقِيَ الصُمِّ لِلَّتي ... هِـيَ الـوَفـرُ أَو سِـربٌ تُـرِنُّ نَـوادِبُـهْ
فَـإِنَّ الحُسـامَ الـهُـنـدُوانِـيَّ إِنَّـمـا ... خُـشـونَـتُـهُ مـا لَـم تُـفَـلَّلْ مَـضـارِبُـهْ
وقَلْـقَـلَ نَأيٌ مـن خـراسانَ جأشَـها ... فقلتُ اطمئِنِّي أنضرُ الرَّوضِ عازِبُهْ
وركبٍ كـأَطْـرافِ الأَسِـنَّـةِ عَـرَّسُـوا ... عـلـى مِثْلِها واللَّيْلُ داجٍ غَياهِبُـهْ
لأمـرٍ عـلـيـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ صُـدُورُه ... ولـيْـسَ عـلـيـهِـمْ أن تَـتِـمَّ عـواقِـبُـهْ
عـلـى كـلِّ رَوَّادِ المَلاطِ تَـهَـدَّمَـتْ ... عـريـكتُه العـلياءُ وانضمَّ حالُبـهْ[54]
رعتْهُ الفيافي بَعْدَ مَا كان حقْبةً ... رعاهَا وماءُ الروضِ ينْهَلُّ ساكِبهْ
فَأَضحى الفَلا قَد جَدَّ في بَرِي نَحضِه[55] ... وَكـانَ زَمـانـاً قَـبـلَ ذاكَ يُـلاعِـبُـهْ
فَـكَـم جِـذعِ وادٍ جَـبَّ ذِروَةَ غـارِبٍ ... وَبـالأَمس كـانَـتْ أَتْمَكَتـهُ[56] مَـذانِبُـهْ
إِلَـيكَ جَزَعنا مَغرِبَ الشَمسِ كُلَّما ... هَبَطنا مَلاً صَلَّت عَلَيكَ سَباسِبُهْ[57]
فَـلَـو أَنَّ سَـيراً رُمـنَـهُ فَـاسـتَـطَـعـنَـهُ ... لَـصـاحَـبـنَـنـا سَـوقـاً إِلَـيكَ مَـغـارِبُـهْ

[54] الملاط: الجمل، والعريكة السنام.. المقصود كثرة الأسفار.

[55] النحض: اللحم المكتنز

[56] أتمكته: رفعته وأعلته، وسنام تامك سنام عالٍ

[57] الملا: الفلاة، والسباسب المفازات

حفر على منبر جامع سمرقند – المكتبة الوطنية ، فيينا.

www.alkottob.com

حنين

شَـهِدْتُ لقَدْ أَقوَتْ مَغَانيكُمُ بَعْدِي وَمَحَّتْ كما مَحَّتْ وشائعُ مِن بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُـمُ مِـنْ بَـعْـدِ إِتْـهَـامِ دَارِكـم فيا دَمْعُ أَنْجِدْني عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

مسافر للنجوم!

أَلا أَيُّـهـا المَوتُ فَـجَّـعـتَـنـا بِـمـاءِ الحَيـاةِ وَمـاءِ الحَيـاءِ
فَـمـاذا حَـضَـرتَ بِـه حـاضِـراً وَمـاذا خَـبَـأتَ لأهـلِ الخِبـاءِ
نَـعـاءِ نَـعـاءِ شَـقـيـقَ الـنَـدى إِلَـيـه نَـعِـيّـاً قَـلـيـلَ الجَداءِ[58]
وَكـانـا جَـمـيـعـاً شَـريـكَي عِـنـانٍ رَضـيـعَـي لِـبـانٍ خَـلـيـلَـي صَـفـاءِ
فَـبـاطِـنُـهُ مَـلـجَـأٌ لِـلأَسـى وَظـاهِـرُهُ مـيـسَـمٌ لِـلـوَفـاءِ
وَقَـد كـانَ مِـمّـا يُـضـيءُ السَـريْ رَ وَالـبَـهـوَ يَـمـلأهُ بِـالـبَـهـاءِ
أَلَـحـدٌ حَـوى حَـيَّـةَ المُلـحِـديـنَ وَلَـدنُ ثَـرىً حـالَ دونَ الـثَـراءِ
فَـمـازالَ يَـفـرَعُ تِـلكَ الـعُـلـى مَـعَ الـنَـجـمِ مُـرتَـدِيـاً بِـالـعَـمـاءِ
وَيَـصـعَـدُ حَـتّـى لَـظَـنَّ الجَهـولُ أَنَّ لَـهُ مَـنـزِلاً في السَـمـاءِ

منمنمة إيرانية 1565 – 1556، تمثل قصة يوسف وزليخة – واشنطن، قاعة Freer للفنون.

[58] الجداء: النفع والعطاء ومنه الجدوى.

www.alkottob.com

هجاء

أَيوسُفُ جِئتَ بِالعَجَبِ العَجيبِ ... تَـرَكتَ الـنـاسَ في شَـكٍّ مُـريبِ
سَـمِـعتُ بِـكُـلِّ داهِـيَـةٍ نَـاَد ... وَلَـم أَسـمَـع بِـسَـرّاجٍ أَديبِ
أَمـا لَـو أَنَّ جَـهـلَـكَ كـانَ عِـلـماً ... إِذَن لَـنَـفَـذتَ في عِـلـمِ الـغُـيـوبِ
وَمـا لَـكَ بِـالـغَـريبِ يَـدٌ وَلَـكِـنْ ... تَـعـاطيكَ الـغَـريبَ مِـنَ الـغَـريبِ

لم نسجد!

سَلَّم عَلى الرَبعِ مِن سَلمى بِذي سَلَمِ ... عَـلَـيـهِ وَسْـمٌ مِـنَ الأَيّـامِ وَالـقِـدَمِ
مـا دامَ عَـيشٌ لَـبِـسـنـاهُ بِـسـاكِـنِـهِ ... لَـدنـاً وَلَـو أَنَّ عَـيشـاً دامَ لَـم يَـدُمِ
يا مَنزِلاً أَعنَقَتْ فيهِ الجَنوبُ عَلى ... رَسْـمٍ مُـحـيـلٍ وَشِـعـبٍ غَـيرِ مُـلـتَـئِـمِ
كانَت لَنا صَنَماً نَحنو عَلَيهِ وَلَم ... نَسجُد كَما سَجَدَ الأَفشينُ [59] لِلصَنَمِ
زارَ الخَيـالُ لَـهـا لا بَـل أَزارَكَـهُ ... فِـكـرٌ إِذا نـامَ فِـكـرُ الخَلقِ لَـم يَـنَـمِ
ظَـبـيٌ تَـقَـنَّـصـتُـهُ لَـمّـا نَـصَـبتُ لَـهُ ... فِي آخِـرِ الـلَـيـلِ أَشـراكـاً مِـنَ الحُـلُـمِ
ثُـمَّ اِغـتَـدى وَبِـنـا مِـن ذِكـرِهِ سَـقَـمٌ ... بـاقٍ وَإِن كـانَ مَـشـغـولاً عَـنِ السَـقَـمِ

[59] الأفشين: هو حيدر بن كاووس، أحد القادة الأتراك المشهورين في عهد المعتصم العباسي، قتله الأخير وصلبه بتهمة التمرد.

الخليفة السلجوقي على عرشه عن مخطوطة تعود للقرن الثالث عشر.

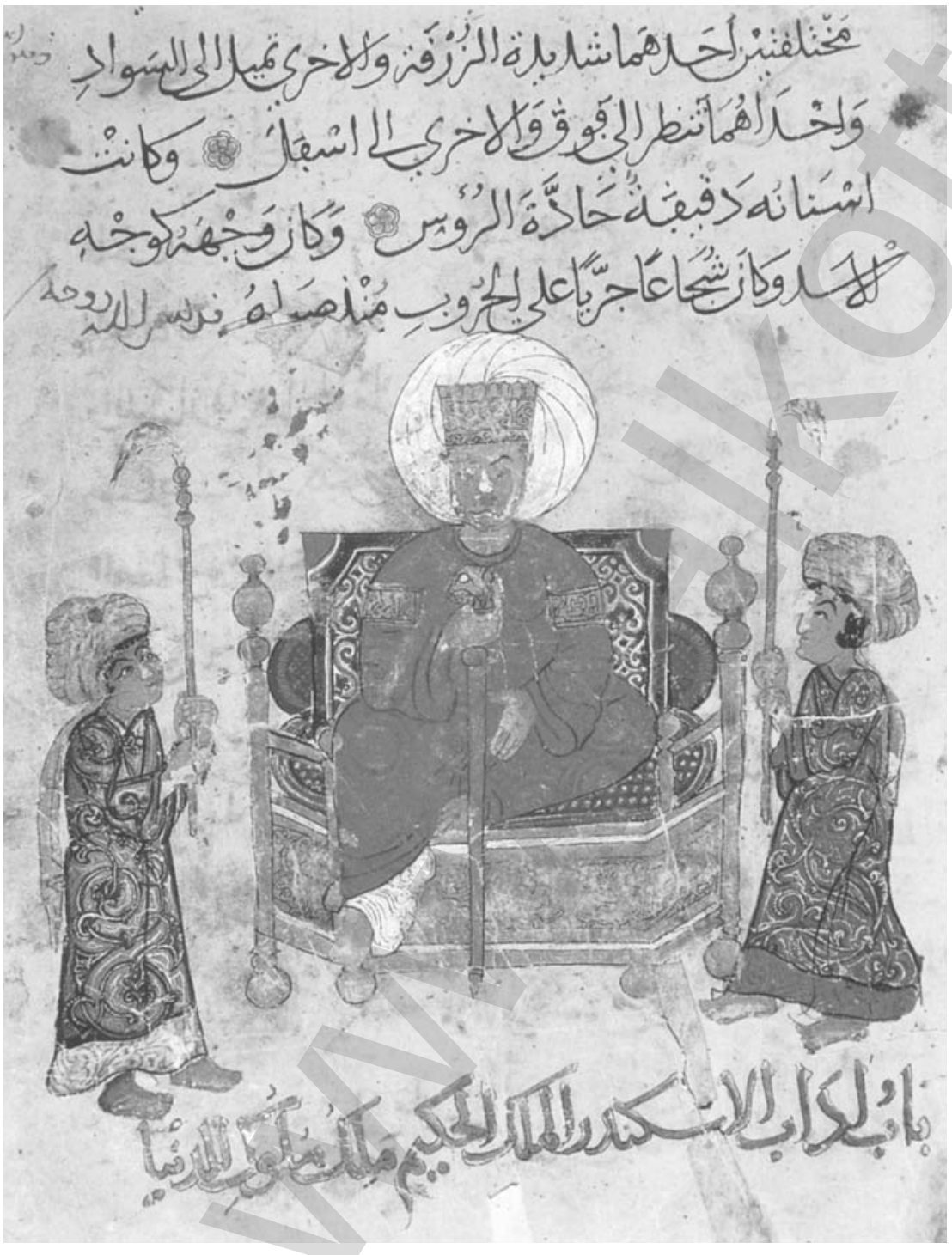

www.alkottob.com

مساءلة لدى الكتاتيب عن تصوير لمقامات الحريري – الواسطي 1237م – المكتبة الوطنية، باريس.

www.alkottob.com

غزو بغداد من قبل المغول عن مخطوطة أخبار رشيد الدين بداية القرن الرابع عشر – متحف برلين.

www.alkottob.com

الحرقة القديمة

وَما خَلْفَ أَجفاني شُؤونٌ بَخيلَةٌ وَلا بَينَ أَضلاعي لَها حَجَرٌ صَلدُ
وَما أَحَدٌ طارَ الفِراقُ بِقَلبِهِ بِجَلدٍ وَلَكِنَّ الفِراقَ هُوَ الجَلَدُ
وَمَن كانَ ذا بَثٍّ عَلى النَأيِ طارِفٍ فَلي أَبَداً مِن صَرفِهِ حُرَقٌ تُلدُ

شواهد الوجوه

كَتَبتَ أَوجُهَهُم مَشْقاً وَنَمنَمَةً ضَرباً وَطَعناً يَقاتُ الهامَ وَالصُلُفا
كِتابَةً لا تَنِي مَقروءةً أَبَداً وَما خَطَطتَ بِها لاماً وَلا أَلِفا
فَإِن أَلَظّوا[60] بِإِنكارٍ فَقَد تُرِكَت وُجوهُهُم بِالَّذي أَولَيتَها صُحُفا

فراق على فراق..

يَومَ الفِراقِ لَقَد خُلِقتَ طَويلا لَم تُبقِ لِي جَلَداً وَلا مَعقولا
لَو حارَ مُرتادُ المَنِيَّةِ لَم يُرِدْ إِلاّ الفِراقَ عَلى النُفوسِ دَليلا
قالوا الرَحيلُ فَما شَكَكتُ بِأَنَّها نَفسي عَنِ الدُنيا تُريدُ رَحيلا
الصَبرُ أَجمَلُ غَيرَ أَن تَلَذُّداً نَفسي عَنِ الدُنيا تُريدُ رَحيلا
طأَتَظُنّني أَجِدُ السَّبيلَ إِلى العَزا وَجَدَ الحِمامُ إِذنْ إِليَّ سَبيلا
ردُّ الجَموحِ الصَعبِ أَيْسَرُ مطلباً مِن ردِّ دَمْعٍ قدْ أَصابَ مَسيلا
ذَكَرَتكُمُ الأَنواءُ ذِكرِيَ بَعضَكُم فَبَكَت عَلَيكُم بُكرَةً وَأَصيلا
وَبِنَفسِيَ القَمَرُ الَّذي بِمُحَجَّرٍ أَمسى مَصوناً لِلنَوى مَبذولا
إِنّي تَأَمَّلتُ النَوى فَوَجَدتُها سَيفاً عَلَيَّ مَعَ الهَوى مَسلولا
لا تَأخُذيني بِالزَمانِ فَلَيسَ لي تَبَعاً وَلَستُ عَلى الزَمانِ كَفيلا

عراء الفصول!

لَم يَبقَ لِلصَيفِ لا رَسمٌ وَلا طَلَلُ وَلا قَشيبٌ فَيُستَكسى وَلا سَمَلُ
عَدلٌ مِنَ الدَمعِ أَن يُبكى المَصيفُ كَما يُبكى الشَبابُ وَيُبكى اللَهوُ وَالغَزَلُ
يُمنى الزَمانِ طَوَت مَعروفَها وَغَدَت يُسراهُ وَهيَ لَنا مِن بَعدِها بَدَلُ
ما لِلشِتاءِ وَما لِلصَيفِ مِن مَثَلٍ يَرضى بِهِ السَمعُ إِلاّ الجودُ وَالبَخَلُ
أَما تَرى الأَرضَ غَضبى وَالحَصى قَلِقٌ وَالأُفقَ بِالحَرجَفِ النَكباءِ يَقتَتِلُ[61]
مَن يَزعَمُ الصَيفَ لَم تَذهَب بَشاشَتُهُ فَغَيرُ ذَلِكَ أَمسى يَزعُمُ الجَبَلُ
إِذا تَظَلَّمتَ مِن أَرضٍ فُصِلتَ بِها كانَت هِيَ العِزُّ إِلاّ أَنَّها ذُلُلُ

[60] الإلظاظ: لزوم الشيء

[61] الحرجف: الرياح الباردة، والنكباء منها: التي تستدير وتبدل جهات هبوبها.

www.alkottob.com

منمنمات منغولية – متحف الفنون الجميلة، دلهي.

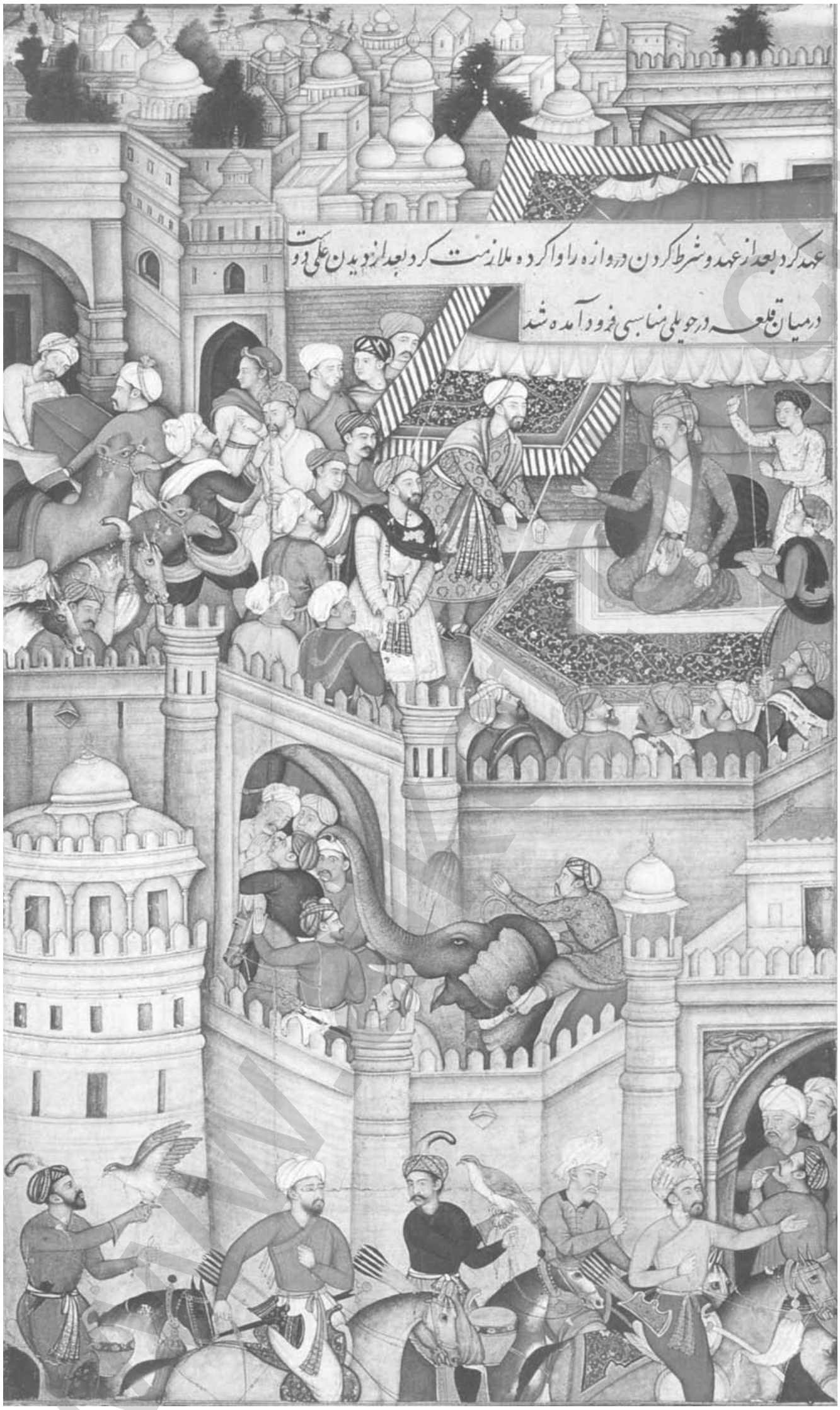

www.alkottob.com

لو يمشي المكان!

ديمَةٌ سَمحَةُ القِيادِ سَكوبُ مُستَغيثٌ بِها الثَرى المَكروبُ
لَو سَعَت بُقعَةٌ لإعظام أخرى لَسَعى نَحوَها المَكانُ الجَديبُ

عناق الأشلاء

فَمَن رَآني مِنَ الأَقوامِ كُلِّهِمِ فَقَد رَأى مُحسِناً مِن غَيرِ إِحسانِ
جاني نَخيلِ سِواهُ كانَ أَلَّفَها غَرساً وَساكِنُ قَصرٍ غَيرُهُ الباني
ذو الوُدِّ مِنّي وَذو القُربى بِمَنزِلَةٍ وَإِخوَتي أُسوَةٌ عِندي وَإِخواني
لا تُخلِقَنْ خُلُقي فيهِمْ وَقَد سَطَعَت ناري وَجَدَّدَ مِن حالي الجَديدانِ
في دَهرِيَ الأَوَّلِ المَذمومِ أَعرِفُهُم فَالآنَ أُنكِرُهُم في دَهرِيَ الثاني
عِصابَةٌ جاوَرَت آدابُهُم أَدَبي فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقوا في الأَرضِ جيراني
أَرواحُنا في مَكانٍ واحِدٍ وَغَدَتْ أَبدانُنا في شَآمٍ أَو خُراسانِ

أقارب الموت!

قالوا الرَحيلُ غَداً لا شَكَّ قُلتُ لَهُم اليَومَ أَيقَنتُ أَنَّ اِسمَ الحِمامِ غَدُ
كَأَنَّما البَينُ مِن إِلحاحِهِ أَبَداً عَلى النُفوسِ أَخٌ لِلمَوتِ أَو وَلَدُ

أرضي وسمائي..

ما سَرَّني بِخداجِها مِن حُجَّةٍ ما بَينَ أَندَلُسٍ إِلى صَنعاءَ[62]
أَجرٌ وَلَكِن قَد نَظَرتُ فَلَم أَجِدْ أَجراً يَفيْ بِشَماتَةِ الأَعداءِ
لَو سِرتَ لالتَقَتِ الضُلوعُ عَلى أَسىً كَلِفٍ قَليلِ السِلمِ لِلأَحشاءِ
وَلَجَفَّ نُوّارُ الكَلامِ وَقَلَّما يُلفى بَقاءُ الغَرسِ بَعدَ الماءِ
فَالجَوُّ جَوّي إِن أَقَمتَ بِغِبطَةٍ وَالأَرضُ أَرضي وَالسَماءُ سَمائي

حبيس الهجران

بِنَفسي حَبيبٌ سَوفَ يُثكِلُني نَفسي وَيَجعَلُ جِسمي تُحفَةَ اللَحدِ وَالرَمسِ
جَحَدتُ الهَوى إِن كُنتُ مُذ جَعَلَ الهَوى مَحاسِنَهُ شَمسي نَظَرتُ إِلى الشَمسِ
لَقَد ضاقَتِ الدُنيا عَلَيَّ بِأَسرِها بِهِجرانِهِ حَتّى كَأَنّي في حَبسِ
أُسَكِّنُ قَلباً هائِماً فيهِ مَأتَمٌ مِنَ الشَوقِ إِلا أَنَّ عَينِيَ في عُرسِ
وَإِنّي لأَخشَى إِنْ تَراقَتْ أُمورُهُ بِهِ أَنْ يَثورَ الجِنُّ فيهِ عَلى الإِنسِ

مرثية لبغداد

لَقَد أَقامَ عَلى بَغدادَ ناعِيها فَليَبكِها لِخَرابِ الدَهرِ باكيها
كانَت عَلى ما بِها وَالحَربُ موقَدَةٌ وَالنارُ تُطفِئُ حُسناً في نَواحيها
تُرجى لَها عَودَةٌ في الدَهرِ صالِحَةٌ فَالآنَ أَضمَرَ مِنها اليَأسَ راجيها
مِثلَ العَجوزِ الَّتي وَلَّت شَبيبَتُها وَبانَ عَنها كَمالٌ كانَ يُحظيها
لَزَّت بِها ضَرَّةٌ زَهراءُ واضِحَةٌ كَالشَمسِ أَحسَنُ مِنها عِندَ رائيها

تيه الصور!

نَشَرتُ فيكَ رَسيساً كُنتُ أَطويهِ وَأَظهَرَتْ لَوعَتي ما كُنتُ أُخفيهِ
إِن كانَ وَجهُكَ لي تَترى مَحاسِنُهُ فَإِنَّ فِعلَكَ بي تَترى مَساويهِ
مُرتَجَّةٌ في تَهاديهِ أَسافِلُهُ مُهتَزَّةٌ في تَثَنّيهِ أَعالِيهِ
تاهَتْ عَلى صورَةِ الأَشياءِ صورَتُهُ حَتّى إِذا كَمَلَتْ تاهَتْ عَلى التيهِ

المصلوبون..

مسافرون على أفراس من خشب!

رَمَقوا أَعالي جِذعِهِ فَكَأَنَّما وَجَدوا الهِلالَ عَشِيَّةَ الإِفطارِ
سُودُ الثِيابِ كَأَنَّما نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدي الشُمُوسِ مَدارِعاً مِنْ قارِ
بَكَروا وَأَسْرَوْا في مُتُونِ ضَوامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِن مَرْبَطِ النَجّارِ
لا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُم خالَهُمْ أَبداً عَلى سَفَرٍ مِن الأَسْفارِ

شاعر.

غَرُبَت خَلائِقُهُ وَأَغرَبَ شاعِرٌ فيهِ فَأَحسَنَ مُغرِبٌ في مُغرِبِ

مكافأة الجهالة!

يَنالُ الفَتى مِن عَيشِهِ وَهوَ جاهِلٌ وَيُكوي الفَتى في دَهرِهِ وَهوَ عالِمُ
وَلَو كانَتِ الأَرزاقُ تَجري عَلى الحِجا هَلَكْنَ إِذَن مِن جَهلِهِنَّ البَهائِمُ
جَزى اللَهُ كَفّاً مِلؤُها مِن سَعادَةٍ سَعَتْ في هَلاكِ المالِ وَالمالُ نائِمُ
فَلَم يَجتَمِع شَرقٌ وَغَربٌ لِقاصِدٍ وَلا المَجدُ في كَفِّ اِمرِئٍ وَالدَراهِمُ

ما لا يؤتمن.

أَلَم تَرَني خَلَّيتُ نَفسي وَشانَها وَلَم أَحفِلِ الدُنيا وَلا حَدَثانَها
لَقَد خَوَّفَتني النائِباتُ صُروفَها وَلَو أَمَّنَتني ما قَبِلتُ أَمانَها
وَكَيفَ عَلى نارِ اللَيالي مُعَرَّسي إِذا كانَ شَيبُ العارِضَينِ دُخانَها

الأرض الباردة.

أَرضٌ مُصَرَّدَةٌ وَأُخرى تُشجَمُ[63] مِنها الَّتي رُزِقَت وَأُخرى تُحرَمُ
فَإِذا تَأَمَّلتَ البِلادَ رَأَيتَها تُثري كَما تُثري الرِجالُ وَتُعدِمُ

تجارب.

إِذا جارَيتَ في خُلُقٍ دَنِيئاً فَأَنتَ وَمَن تُجارِيهِ سَواءُ
لَقَد جَرَّبتُ هَذا الدَهرَ حَتّى أَفادَتني التَجارِبُ وَالعَناءُ
يَعيشُ المَرءُ ما اِستَحيا بِخَيرٍ وَيَبقى العودُ ما بَقِيَ اللِحاءُ

[62] أصل الخداج: الوليد الذي يجيء قبل الوقت.. وكل نقصان في شيء يستعار له الخداج.

[63] مصردة باردة، وتجمت: أمطرت مطراً سريعاً دائماً

www.alkottob.com

وعد.

وَلَـقَـد وُعِـدتُ مَـواعِـداً فَـنَـبَـذتُـهـا
خَـلـفـيْ وَوَعـدُكَ مـايَـزالُ تِـجاهـي

هُوَ في الغِنى غَرسي وَغَرسُكَ في العُلى
أَنّـى اِنصَـرَفتَ وَأَنتَ غَـرْسُ الـلَـهِ

قلُّوا وإنْ كَثروا

قالوا أَتَبكي عَلى رَسمٍ فَقُلتُ لَهُم
مَـن فـاتَـهُ الـعَينُ هَدّى شَوقَهُ الأَثَرُ

إِنَّ الـكِـرامَ كَـثيرٌ في الـبِـلادِ وَإِنْ
قَـلّوا كَـمـا غَـيرُهُـم قُـلٌّ وَإِن كَـثَـروا

لا يَـدهَـمَـنَّـكَ مِـن دَهـمـائِـهِـم عَـدَدٌ
فَـإِنَّ جُـلَّـهُـمُ بَـل كُـلَّـهُـمْ بَـقَـرُ

سيأكُلنا الدهر

سَيَأكُلُنا الدَهرُ الَّذي غالَ مَن نَرى
وَلا تَنقَضي الأَشياءُ أَو يُؤكَلَ الدَهر

وَأَكـثَـرُ حـالاتِ اِبـنِ آدَمَ خِـلـقَـةٌ
يَضِلُّ إِذا فَكَّرتَ في كُـنـهِـها الفِكرُ

فَـيَـفـرَحُ بِـالشَـيءِ المُعارِ بَـقـاؤُهُ
وَيَـحـزَنُ لَـمّـا صـارَ وَهـوَ لَـهُ ذُخـرُ

قرية النمل

وَكَأسٍ كَـمَعسولِ الأَماني شَـرِبتُها
وَلَـكِـنَّـها أَجلَتْ وَقَد شَرِبَت عَقلي

إِذا عـوتِـبَـت بِـالماءِ كـانَ اِعـتِـذارُها
لَـهيباً كَوَقعِ النارِ في الحَطَبِ الجَزل

إِذا هِيَ دَبَّت في الفَتى خالَ جِسمَهُ
لِـما دَبَّ فيـهِ قَـريَـةً مِـن قُـرى النَـملِ

إِذا ذاقَـهـا وَهـيَ الحَيـاةُ رَأَيـتَـهُ
يُـعَـبِّـسُ تَـعـبيسَ المُقَـدَّمِ لِـلـقَـتـلِ

بيعة الشمس

مـا إِن رَأى الأَقوامُ شَـمساً قَـبـلَـهـا
أَفَـلَـت فَـلَـم تُـعـقِـبْـهُـمُ بِـظَـلامِ

لَـو يَـقدِرونَ مَشَوا عَلى وَجَناتِهِمْ
وَعُـيـونِـهِـم فَـضْـلاً عَـنِ الأَقـدامِ

فرسان الاسكندر عن مخطوطة الشاهنامة / تبريز للفردوسي 1335م – متحف الفنون، كامبردج.

الاسكندر يحارب داريوس – منمنمة إيرانية، القرن السادس عشر – المكتبة الوطنية، باريس.

www.alkottob.com

الأرض في عينيه دار

مَضى الأَملاكُ فَانقَرَضوا وَأَمسَت
سَراةُ مُلوكِنا وَهُمُ تِجارُ

وُقوفٌ في ظِلالِ الذَمِّ تُحمى
دَراهِمُها وَلا يُحمى الذِمارُ

فَلَو ذَهَبَت سِناتُ الدَهرِ عَنه
وَأُلقِيَ عَنْ مَناكِبِهِ الدِثارُ

لَعَدَّلَ قِسمَةَ الأَرزاقِ فينا
وَلَكِنْ دَهرُنا هَذا حِمارُ

سَيَبتَعِثُ الرِكابَ وَراكِبيها
فَتىً كَالسَيفِ هَجْعَتُهُ غِرارُ

أَظَلَّ عَلى كِلا الآفاقِ حَتّى
كَأَنَّ الأَرضَ في عَينَيهِ دارُ

يَقولُ الحاسِدونَ إِذا انصَرَفنا
لَقَد قَطَعوا طَريقاً أَو أَغاروا

قرابة الأدب

إِن يُكْدَ[64] مُطَّرَفُ الإِخاءِ فَإِنَّنا
نَغدو وَنَسري في إِخاءٍ تالِدِ

أَو يَختَلِفْ ماءُ الوِصالِ فَماؤُنا
عَذبٌ تَحَدَّرَ مِن غَمامٍ واحِدِ

أَو يَفتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بَينَنا
أَدَبٌ أَقَمناهُ مُقامَ الوالِدِ

وحشة نيسابور

صَريعُ هَوىً تُغاديهِ الهُمومُ
بِنَيسابورَ لَيسَ لَهُ حَميمُ

غَريبٌ لَيسَ يُؤنِسُهُ قَريبٌ
وَلا يَأوي لِغُربَتِهِ رَحيمُ

مُقيمٌ في دِيارِ نَوىً شَطونٍ
يُشافِهُهُ بِها كَمَدٌ مُقيمُ

يَمُدُّ زِمامَهُ طَمَعٌ مُقيمٌ
تَدَرَّعَ ثَوبَهُ رَجُلٌ عَديمُ

فَلا عَجَبٌ وَإِن كَظَّتْ رِكابي
بِأَرضٍ طارَ طائِرُها المَشومُ[65]

فَقَد فارَقتُ بِالغَربِيِّ داراً
بِأَرضِ الشامِ حَفَّ بِها النَعيمُ

هِيَ الوَطَنُ الَّذي فارَقتُ فيهِ
وَفارَقَني المُساعِدُ وَالنَديمُ

فَإِن أَكُ قَد حَلَلتُ بِدارِ هونٍ
صَبَوتُ بِها فَقَد يَصبو الحَليمُ

أَلومُكَ لا أَلومُ سِواكَ دَهراً
قَضى لِيْ بِالَّذي يَقضي سَدومُ

إِذا أَنا لَم أَلُمْ عَثَراتِ دَهرٍ
أُصِبتُ بِها الغَداةَ فَمَن أَلومُ

وَفي الدُنيا غِنىً لَم أَنبُ عَنهُ
وَلَكِن لَيسَ في الدُنيا كَريمُ

[64] أكدى: أعطى قليلاً، أو شحَّ وبخل، جاء في القرآن الكريم: وأعطى قليلاً وأكدى: النجم 34، والفعل المضارع «يكدى» مجزوم هنا بالشرط.

[65] المشوم من الشؤم، وطيور الشؤم لدى العرب كثيرة منها: الغراب، والأخيل والقنز، وطير العراقيب.

تيمورلنك في سمرقند – منمنمة فارسية يعود تاريخها إلى 1486م – متخف اسطنبول.

تيمورلنك يستقبل حفيده – مخطوطة ايرانية – متحف لندن.

هرم من الرؤوس بعد غزو تيمورلنك لبغداد.
منمنمة هندية تعود للعصر المنغولي.

www.alkottob.com

لا دهشة للحجاب.

أَنضَيتُ في هَذا الأَنامِ تَجارِبي
وَبَلَوتُهُم بِمُفَحَّصاتِ مَذاهِبي

وَذَمَلتُ في الأَيّامِ حَتّى أَسحَتَتْ
شَطّي سَنامي وَانتَحَتْ في غارِبي [66]

مُتَجَشِّماً سُبُلَ المَطامِحِ طالِباً
مِنها وَفيها شَأوَ رِزقٍ هارِبِ

لا تُدهِشَنّي بِالحِجابِ فَإِنَّني
فَطِنُ البَديهَةِ عالِمٌ بِمَوارِبي

لا تَكلَفَنَّ وَأَرضُ وَجهِكَ صَخرَةٌ
في غَيرِ مَنفَعَةٍ مؤونَةَ حاجِبِ

خُذْ مِن غَدي الجائي بِحَزِيكَ ضِعْفَ ما
أَعطَيتَني في صَدرِ أَمسِ الذاهِبِ

فَلأَتحِفَنَّ السَفرَ فيكَ بِشُرَّدٍ
أُنُسٍ يَقُمْنَ مَقامَ زادِ الراكِبِ

الهوى ينسي الهوى!

بَيَّتَ قَلبي مِن هَواكَ عَلى الطَوى
وَرَحَلتُ مِن بَلَدِ الصَبابَةِ وَالجَوى

هَيهاتَ كُنتُ مِنَ الحَداثَةِ وَالصِبا
في غَفلَةٍ إِنَّ الهَوى يُنسي الهَوى

كنز الذنوب

ما الذَنبُ يا كَنزَ الذُنوبِ مَعاً
لَكَ في الهَوى لَكِنَّهُ ذَنبي

فَاسلَم وَلا تَسلَم فَلا عَجَبٌ
لَم تَنجُ لُؤلُؤَةٌ مِنَ الثَقبِ

لأجل المجد!

خُذي عَبَراتِ عَينِكِ عَن زَماعي
وَصوني ما أَزَلتِ مِنَ القِناعِ

أَقِلّي قَد أَضاقَ بُكاكِ ذَرعي
وَما ضاقَت بِنازِلَةٍ ذِراعي

وَلَيسَت فَرحَةُ الأَوباتِ إِلاّ
لِموقوفٍ عَلى تَرَحِ الوَداعِ

تَوَجَّعُ أَن رَأَت جِسمي نَحيفاً
كَأَنَّ المَجدَ يُدرَكُ بِالصِراعِ

السيف المقطوع!

أَصَمَّ بِكَ الناعي وَإِن كانَ أَسمَعا
وَأَصبَحَ مَغنى الجودِ بَعدَكَ بَلقَعا

فَلَم أَرَ يَوماً كانَ أَشبَهَ ساعَةً
بِيَومي مِنَ اليَومِ الَّذي فيهِ وَدَّعا

وَوَاللَهِ لا تَقضي العُيونُ الَّذي لَهُ
عَلَيها وَلَو صارَت مَعَ الدَمعِ أَدمُعا

فَإِن تُرمَ عَنْ عُمْرٍ تَدانىْ بِهِ المَدى
فَخانَكَ حَتّى لَم يَجِدْ فيْكَ مَنزَعا

فَما كُنتَ إِلاّ السَيفَ لاقىْ ضَريبَةً
فَقَطَّعَها ثُمَّ انثَنى فَتَقَطَّعا....

معركة قرب كابول عن منمنمة الشاهنامة – متحف اللوفر، باريس.

[66] الذمل: نوع من سير الإبل بين المشي والعدو، واسحتت: أي تقشرت بفعل مشقة السفر، والغارب ما بين سنام الجمل وعنقه، ومنه القول: الحبل على الغارب.

www.alkottob.com

شكيمة العقل.

إذا نـوبـةٌ نـابَـتْ أَدَرتُ صُـروفَـهـا
على الضَّخمِ آراءً لَدى الحادثِ الضَخْمِ

يَـداكَ لَـنـا شَـهـرا رَبـيـعٍ كِـلاهُـمـا
أَلَـذُّ مُـصـافـاةً مِـنَ الـظِـلِّ وَالضُـحـى

إذا جَفَّ أَطرافُ البَخيلِ مِنَ الأَزمِ
فَفيمَ تَرَكتَ النَصفَ في الوُدِّ بَعدَما

وَأَكرَمُ في اللأواءِ عوداً مِنَ الكَرَمِ [67]
رَآهُ الوَرى خَيراً مِنَ النَصفِ في الحُكمِ

أَيّايَ جارى القَومُ في الشِعرِ ضَلَّةً
طَلَعتُ طُلوعَ الشَمسِ في كُلِّ تَلعَةٍ

وَقَد عايَنوا تِلكَ القَلائِدَ مِن نَظمي
وَأَشرَفتُ إِشرافَ السِماكِ عَلى الخَصمِ

وَمـا أَنـا بِـالـغَـيرانِ مِـن دونِ جـارِهِ
إِذا أَنا لَم أُصبِحْ غَيوراً عَلى العِلمِ

لَـصـيـقُ فُـؤادي مُـذ ثَـلاثـونَ حِجَّةً
وَصَـيْـقَـلُ ذِهـنـي وَالمُرَوِّحُ عَـن هَـمّـي

أَبى ذاكَ صَبرٌ لا يَقيلُ عَلى الأَذى
فُواقاً [68] وَنَـفسٌ لا تَـمَـرَّغُ في الـظُـلـمِ

وَإِنّـي إِذا مـا الحِلـمُ أَحـوَجَ لاحِـيـا
إِلى سَفَهٍ أَفضَلتُ فَضلاً عَلى حِلمي

تَـظُـنُّ ظُـنـونَ السوءِ بـي إِن لَـقـيـتَـنـي
وَلا وَتَـري فـيـمـا كَـرِهـتَ وَلا سَـهـمـي

الانتقام من الهجر

سَـيَـعـلَـمُ الـهَـجـرُ أَنّـا مِـن إِسـاءَتِـهِ
وَظُـلـمِـهِ بِـالـوِصـالِ الـعَـذبِ نَـنـتَـقِـمُ

أَمّـا الـوُجـوهُ فَـكـانَـت وَهـيَ عـابِـسَـةٌ
أَمّـا الـقُـلـوبُ فَـكـانَـت وَهـيَ تَـبـتَـسِـمُ

سَـعـايَـةٌ مِـن رِجـالٍ لا طَـبـاخَ [69] بِـهِـم
قـالـوا بِـمـا جَـهِـلـوا فـيـنـا وَمـا عَـلِـمـوا

معركة جالديران – منمنمة إيرانية 1525 – متحف اسطنبول.

ليالينا بالرقتين.

بَدَت لِلنَوى أَشياءُ قَد خِلتُ أَنَّها
سَـيَـبـدأُني رَيبُ الـزَمـانِ إِذا تَـبـدو

نَوىً كَانقِضاضِ النَجمِ كانَت نَتيجَةً
مِنَ الهَزلِ يَوماً إِنَّ هَزلَ الهَوى جِدُّ

وَعَينٌ إِذا هَيَّجتَها عادَتِ الكَرى
وَدَمعٌ إِذا اِستَنجَدْتَ أَسرابَهُ نَجْدُ

وَما خَلفَ أَجفاني شُؤونٌ بَخيلَةٌ
وَلا بَينَ أَضلاعي لَها حَجَرٌ صَلْدُ

وَكَم تَحتَ أَرواقِ الصَبابَةِ مِن فَتىً
مِنَ القَومِ حُرٍّ دَمعُهُ لِلهَوى عَبدُ

وَما أَحَدٌ طارَ الفِراقُ بِقَلبِهِ
بِجَلدٍ وَلَكِنَّ الفِراقَ هُوَ الجَلدُ

وَمَن كانَ ذا بَثٍّ عَلى النَأيِ طارِفٍ
فَلي أَبَداً مِن صَرفِهِ حُرَقٌ تُلدُ

فَلا مَلِكٌ فَردُ المَواهِبِ وَاللُهى
يُجاوِزُ بي عَنهُ وَلا رَشَأٌ فَردُ

لَيالِيَنا بِالرَقَّتَينِ وَأَهلِها
سَقى العَهدَ مِنْكِ العَهْدُ وَالعَهْدُ وَالعَهْدُ

سَحابٌ مَتى يَسحَبْ عَلى النَبتِ ذَيلَهُ
فَلا رَجِلٌ يَنبو عَلَيهِ وَلا جَعدُ

ضَرَبتُ لَها بَطنَ الزَمانِ وَظَهرَهُ
فَلَم أَلقَ مِن أَيّامِها عِوَضاً بَعدُ

من أحب؟

راحَتي في البُكاءِ حَتّى أَراكا
إِنَّ لي مِنكَ شاغِلاً عَن سِواكا

وَإِذا قيلَ مَن تُحِبُّ تَخَطّا
كَ لِساني وَأَنتَ في القَلبِ ذاكا

منمنمة هندية تعود إلى 1526م تمثل معركة.

[67] الأزم: الشدة والقحط، ومنه الأزمة، واللأواء: المحنة

[68] يقيل: من القيلولة في منتصف النهار، والفواق: برهة قصيرة من الزمن في النهار الواحد، تقول العرب «فواق ناقة» أي الزمن بين حلبتين.

[69] لا طباخ لهم: لا عقول لهم

www.alkottob.com

منمنمة منغولية تعود لعام 1615 تمثل الـ « جاهانجير » يحمل صورة أبيه – متحف غيميه، باريس.

من هم؟

قَومٌ هُمُ أَمِنوا قَبلَ الحَمام بِها ... مِن بَينِ ساجِعِها الباكي وَنائِحِها
كانوا الجِبالَ لَها قَبلَ الجِبالِ وَهُم ... سالوا وَلَمْ يَكُ سَيلٌ في أَباطِحِها

خاتم الخوف

كَيفَ يُضْحي بِرَأسِ عَلياءَ مُضْحٍ ... وَجَناحُ السُمُوِّ مِنهُ مَهيضُ
هِمَّةٌ تَنطَحُ النُجومَ وَجَدٌّ ... آلِفٌ لِلحَضيضِ فَهوَ حَضيضُ
كَم فَتىً ذَلَّ لِلزَمانِ وَقَد أَلـ ... ـقى مَقاليدَهُ إِلَيهِ القَبيض[72]
قَد فَضَضنا مِنْ بَيْدِهِ خاتَمَ الخَو ... فِ وَما كُلُّ خاتَمٍ مَفضوضُ

غزل صوفي.

مَنَحتُكَ وُدّاً كانَ طِفلاً فَقَد نَشا ... وَأَبدَيتَ لي جِسماً مِنَ الوُدِّ موحِشا
أَرى ثَمَرَ الحُسنِ الَّذي قَد غَرَستُهُ ... وَأَبدَيتَ لي جِسماً مِنَ الوُدِّ موحِشا
طَوَلي يا خَلِيَّ الصَدرِ مِن لَوعَةِ الهَوى ... حَشاً لَستُ أَدري جَمرَةٌ هِيَ أَم حَشا
فَداوِ سَقاماً مِنهُ في الجِسمِ فاشِياً ... كَما الحُسنُ في ساحاتِ وَجهِكَ قَد فَشا
فَأُقسِمُ لَو تَبدو لِعَينٍ مُرَقِّشٍ ... لأَذهَلتَ عَن أَسماءَ حَقّاً مُرَقِّشا

[70] الكهل ما بين الثلاثين إلى الخمسين، لكن المقصود هنا العقل والحكمة، جاء في القرآن الكريم «ويكلم الناس في المهد وكهلا» آل عمران / 46، والحبر: العالم «بتحبير الكلام» وتأويله وتحسينه.

[71] غيث همع: أي سحاب ماطر على هيئة هطول.

[72] القبيض: أي الركب السائر بسرعة، ويقال للرجل الحسن التدبير في مقاليد الأمور: القبيض، أي القادر على سوق الركب دون هياج.

محمد الفاتح – 1480 – متحف اسطنبول.

رؤيا الشهيد.

رَأَيتُهُ بِنِجادِ السَيفِ مُحتَبِياً ... كَالبَدرِ حينَ جَلَتْ عَن وَجهِهِ ظُلَمُه
في رَوضَةٍ قَد عَلا حافاتِها زَهَرٌ ... عَلِمتُ عِندَ اِنتِباهي أَنَّها نِعَمُه
فَقُلتُ وَالدَمعُ مِن حُزنٍ وَمِن فَرَحٍ ... يَجري وَقَد مَلأَ الخَدَّينِ مُنسَجِمُه
أَلَم تَمُت يا شَقيقَ النَفسِ مُذ زَمَنٍ؟ ... فَقالَ لي: لَم يَمُتْ مَنْ لَم يَمُتْ كَرَمُه

فخر.

لَنا جَوهَرٌ لَو خالَطَ الأَرضَ أَصبَحَ ... وَبُطنانُها مِنهُ وَظُهرانُها تِبرُ
مَقاماتُنا وَقفٌ عَلى الحِلمِ وَالحِجى ... فَأَمرَدُنا كَهلٌ وَأَشيَبُنا حَبرُ[70]

طيور ورايات..

وَقَد ظُلِّلَتْ عِقبانُ أَعلامِهِ ضُحىً ... بِعِقبانِ طَيرٍ في الدِماءِ نَواهِلِ
أَقامَتْ مَعَ الرايات حَتّى كَأَنَّها ... مِنَ الجَيشِ إِلاّ أَنَّها لَم تُقاتِلِ

حفيد البهاليل.

أَنا اِبنُ الَّذينَ اِسترُضِعَ الجودُ فيهِمُ ... وَسُمِّيَ فيهِم وَهوَ كَهلٌ وَيافِعُ
نُجومٌ طَوالِيعٌ جِبالٌ فَوارِعُ ... غُيوثٌ هَوامِيعٌ سُيولٌ دَوافِعُ[71]
بَهاليلُ لَو عايَنتَ فَضلَ أَكُفِّهِم ... لأَيقَنتَ أَنَّ الرِزقَ في الأَرضِ واسِعُ

www.alkottob.com

جهات الأيام.

أَأَيّـامَـنـا مـا كُـنـتِ إلاّ مَـواهِـبـا ... وَكُـنـتِ بِـإسـعـافِ الحَبيبِ حَـبـائِـبـا
سَـنُـغـرِبُ تَجديداً لِعَهدِكِ في البُكا ... فَـمـا كُـنـتِ في الأَيّـامِ إلاّ غَـرائِـبـا
سَلي هَل عَمَرتُ القَفرَ وَهوَ سَباسِبٌ ... وَغادَرتُ رَبعي مِن رِكابي سَباسِبا
وَغَرَّبتُ حَتّى لَم أَجِد ذِكرَ مَشرِقٍ ... وَشَرَّقتُ حَتّى قَد نَسيتُ المَغارِبا
وَمَن لَم يُسَلِّم لِلنَوائِبِ أَصبَحَت ... خَـلائِـقُـهُ طُـرّاً عَـلَـيـهِ نَـوائِـبـا

استعد..

تُـحـاوِلُ شَـيـئـاً قَـد تَـوَلّـى فَـوَدَّعـا ... وَهَـيـهـاتَ مِـنـهُ أَن يَـعـودَ فَـيَـرجِـعـا
خَشُنتَ عَلى التَأديبِ فَهماً وَمَنطِقاً ... وَلِـنْـتَ عَـلـى الأَيّـامِ لِـيـتـاً وَأَخـدَعـا
وَأَقـبَـلَـتِ الأَيّـامُ تَـرتـادُ مَـصـرَعـاً ... لِجَنبِكَ فَارتَد إِذ تَيَقَّنتَ مَضجَعا

ألم يأن تركي؟

أَلَـم يَـأنِ تَـركـي لا عَـلَـيَّ وَلا لِـيـا ... وَعَزمي عَلى ما فيهِ إِصلاحُ حالِيا
وَقَد نالَ مِنّي الشَيبُ وَابيَضَّ مَفرِقي ... وَغالَت سَوادي شُـهـبَـةٌ في قَذالِيا[73]
وَحالَت بِيَ الحالاتُ عَمّا عَهِدتُها ... بِكَرِّ اللَيالي وَاللَيالي كَما هِيا
أُصَوِّتُ بِالدُنيا وَلَيسَت تُجيبُني ... أُحاوِلُ أَن أَبقى وَكَيفَ بَقائِيا
وَما تَبرَحُ الأَيّامُ تَحذِفُ مُدَّتي ... بِعَدٍّ حِسابٍ لا كَعَدٍّ حِسابِيا
لِتَمحُوَ آثاري وَتُخلِقَ جِدَّتي ... وَتُخلِيَ مِن رَبعي بِكُرهٍ مَكانِيا
أَقولُ لِنَفسي حينَ مالَت بِصَغوِها[74] ... إِلى خَطَراتٍ قَد نَتَجنَ أَمانِيا
هَبيني مِنَ الدُنيا ظَفِرتُ بِكُلِّ ما ... تَمَنَّيتُ أَو أُعطيتُ فَوقَ أَمانِيا
أَلَيسَ اللَيالي غاصِباتي بِمُهجَتي ... كَما غَصَبَتْ قَبلي القُرونَ الخَواليا
فَقَد أَنِسَتْ بِالْمَوْتِ نَفسي لأَنَّنِيْ ... رَأَيتُ المَنايا يَختَرِمْنَ حَياتِيا
فَيا لَيتَني مِن بَعدِ مَوتي وَمَبعَثي ... أَكونُ رُفاتاً لا عَلَيَّ وَلا لِيا

[73] القذال: مؤخرة الرأس

[74] مال بصغوه: التفت كمن يتسمع قوله عن قرب.

كتاب «تعليم فنون القتال والفروسية» – القرن 16 – دار الكتب المصرية.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com